الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٥٢ — أول يونيه سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 152.

Lundi - 1 - 6 - 1936

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٥٢ « القاهرة في يوم الاثنين ١١ ربيع الأول سنة ١٣٥٥ — أول يونيه سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــــدد

النقـــد أيضا

للأستاذ أحمد أمين

أثار ما كتبه أخي الزيات في موضوع « النقـد » معاني أخرى في نفسي تتصل بتاريخ النقـد العربي في السنين الأخيرة ذلك أني أوازن بين النقـد من نحو عشرين عاما والنقد الآن ، فأجده ليس خاضعاً لسنة النشوء والارتقاء ، بل لسنة التدهور والانحطاط ، حتى وصل إلى حالة من العجز يرثى لها

فقد كان الكتاب إذا ظهر هبت الصحف والمجلات لعرضه ونقده ؛ فاللغوي ينقده نقداً لغوياً ، والمؤرخ ينقده نقداً تاريخياً ، والأديب ينقده نقداً أدبياً ؛ وتثور معركة حامية بين أنصار الكتاب وأعداء الكتاب ، وتظهر في التأييد والتفنيد مقالات ضافية ، وبحوث عميقة شائقة . ولست أنسى ما كان يقوم به الأستاذ ابراهيم اليازجي من نقد « لمجاني الأدب » و « أقرب الموارد » ونحوهما من الكتب ، كما لست أنسى ما نُقد به كتاب « التمدن الاسلامي » والأخذ والرد اللذين قاما حوله ؛ وكان شوقي أو حافظ يقول القصيدة ، فيقوم ناقد معترض يبين معايبها ، ومادح مقرظ يبين محاسنها ؛ ومن هذا وذاك يستفيد الأديب ،

ويرق الأدب ، وتتجلى حقائق كانت خافية ، وتتهذب أذواق كانت نابية . وكان يؤلف الكتاب الدينى مثل كتاب « الاسلام وأصول الحكم » فتنشب معارك حامية ، وينقسم المفكرون إلى معسكرين ، وفى كل معركة شحذ للأذهان ، ودرس للمتعلمين ، وتمحيص للحقائق . قد كان فى نقدهم أحياناً هجر وقذع ، وهجو وسباب ؛ ولكن كان بجانب ذلك حقائق تذاع ، وبحوث تنشر ؛ وكان كل من السباب والنقد العفيف علامة حياة أدبية ، وثورة فكرية ، وعقل باحث ، وقلم نشيط

تعال فانظر معى الآن إلى ما وصلنا اليه ! لقد كثرت الكتب يخرجها المؤلفون ، وأصبح الانتاج الأدبى أضعاف ما كان ، فى كل ناحية من نواحى الأدب ، من قصص وقصائد وموضوعات اجتماعية ، وكتب تاريخية ؛ وكثر الكلام فى الأدب ، وخصصت أكثر الصحف صفحات للمقالات الأدبية ، وكان معقولاً أن يساير النقد هذه الحركة فيرقى معها ، ويتسع باتساعها ، وتتعدد نواحيه بتعددها ، ولكن كان من الغريب أن تحدث هذه الظاهرة ، وهى رقى الأدب وانحطاط النقد

نعم ، أعتقد أن الأدب العربى ارتقى عما كان عليه منذ عشرين سنة فى جملته لا فى كل ناحية من نواحيه ، فقد يجوز أننا لم نجد من يخلف « شوقى » و « حافظاً » فى ناحيتيهما الشعرية ، ولكن الأدب — بمعناه العام — أصبح خيراً مما كان ، فغزرت معانيه بعد أن كان لفظياً ، وعمق بعد أن كان سطحياً ، وجادت القصة فيه نوعاً ما ، واتسع أفقه وموضوعاته قدراً ما ، وتأثر الأدب الغربى وقلده فى مناحى رقيه . أما النقد فانكمش وانكمش حتى ضمر وذبل وأشفى على الهلاك

وحسبك دليلاً أن ترى أشهر الكتاب فى العالم العربى يخرجون الكتاب تلو الكتاب فلا تكاد تجد ناقداً يعتد به ، وتقرأ ما يكتب عن ذلك فى أشهر الصحف والمجلات فلا تجد إلا سراباً يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ؛ وأكثرها يكتفى باسم الكتاب وعرض موضوعه والاستعانة على ذلك بفهرسه ومقدمته ثم صيغة محفوظة متداولة من المدح والتقريظ . فان كان نقد فمظهر لا مخبر ، هو نتاج فقر عقلى وخمود ذهنى ، ثم ينتهى الأمر ويغلق الباب . فلا معارك ولا مساجلات ولا بحوث حول الكتاب ، ولا أخذ ولا رد ، ولا مظهر من مظاهر الحياة الأدبية . لا يشعر الناقد أن عليه واجباً يؤديه للقراء ، وأن منصبه يتطلب منه قراءة عميقة ، وآراء صريحة ، وتقديراً دقيقاً ، وأن ذمته لا تبرأ إلا ببحث شامل واف ثم إبداء لرأيه فى غير تحيز ولا مواربة ، ولكن كل ما يشعر به أن المؤلف أهدى اليه الكتاب فهو يلقى عن عاتقه العبء بكتابة كلمة خاملة ، ووصف فاتر ، ونقد سطحى

ليس النقد مجرد استحسان الناقد أو استهجانه . فكل ما كان مبنياً على ذوق الناقد وحده ، ومجرد ادعائه أن هذا بليغ وهذا ليس ببليغ وهذا راق وهذا غير راق لأنه يتذوقه أو لا يتذوقه ، وا كتفاؤه أحياناً بأن يصوغ عبارته فى الاستحسان أو الاستهجان فى قالب جميل ، كل ذلك ليس من النقد فى شىء . إنما النقد ما علل وبينت فيه أسباب الحسن والقبح ، وأسس على قضايا ثابتة . فبهذا يستفيد المنقود ، ويرقى الأدب ، ويسمو الذوق ؛ وبهذا وحده لا يكون النقد فتاتاً لموائد الأدب ، ولا متطفلاً على نتاجه ، إنما يكون هادياً للأديب ومرشداً للجمهور وموجهاً للأدب نحو الكمال

ولكن ما علة هذه الظاهرة فى الأدب العربى ، وليس من الطبيعى فى الأمم أن الأدب إذا رقى ضعف النقد ، فاننا نرى الظاهرة فى الأدب الغربى أن يرقى الأدب فيرقى النقد ويؤثر كلاهما فى الآخر تأثيراً محموداً — فيجب أن تكون علة ضعف النقد العربى علة محلية لا علة طبيعية

يظهر لى أن هذا الضعف فى النقد يرجع الى أسباب عدة :

أهمها أن النقد الصريح الصحيح يحتاج الى شجاعة أدبية قوية من الناقد ، ورحابة صدر من المنقود . وقد حدث فى تاريخ مصر الحديث أن جماعة تسلحوا بالشجاعة الأدبية فأظهروا آراءهم فى صراحة تامة ولم يبالوا الرأى العام سواء فى ذلك بحوثهم ونقدهم ؛ وكانت هذه البذرة الأولى للشجاعة الأدبية فى مصر ، فألفوا كتباً عبروا فيها عن آرائهم فى جلاء ووضوح ، وكتبوا مقالات تعبر عما يختلج فى نفوسهم وإن لم تكن على هوى الجمهور ، ونقدوا أدب الأدباء وإن بلغوا القمة فى نظر الناس ، فكان صراع بين القديم والحديث ، وبين التفكير الحر والتقاليد ، وبين

الأدب الناشىء والأدب الموروث . ولكن هذا الصراع انتهى بهزيمة هذه الطليعة من المفكرين ، وتعرضوا للخطر فى مناصبهم وأرزاقهم ، ونالوا من العسف والعنت ما ليس فى طاقتهم . وهذا يحدث مثله فى كل أمة من الأمم الأوربية ، ولكن كان هناك فرق كبير بيننا وبينهم : ذلك أن أصحاب الرأى الجديد فى البلاد الراقية إذا أوذوا فى العصر الحديث رأينا من مقلديهم وأتباعهم فى الرأى من يمدونهم بالمال وبالمعونة . وكم رأينا من المال يجمع ليستعين به من نكب فى منصبه بسبب رأيه أو بسبب سياسته ، يتبرع به أغنياء اعتقدوا صحة رأيه أو وجاهة سياسته ، فعطفوا عليه ، وتحول عطفهم الى اتخاذ وسائل لدرء الخطر عنه ، فاستمر فى خطر شجاعته ، وشعر بأن تضحيته يقابلها عطف ، وأنه إن ضحى بالكماليات لا يصاب فى الضروريات ؛ بل وإن أصيب فى الضروريات وبلغ ذلك فقدان القوت فقد ضربت له أمثلة عدة أيام الثورة الفرنسية وقبلها وبعدها ، فتأصلت الشجاعة الأدبية ، ونمت بذرتها وأصبحت غير قابلة للفناء . أما فى مصر فكانت بذرتها هى البذرة الأولى ، وشعر القائمون بهذه الحركة الجديدة أنهم أصيبوا فى سمعتهم وفى منصبهم وفى مالهم ، ثم رأوا أن أتباعهم تخلوا عنهم فى أوقات الضيق ؛ ومن عطف عليهم منهم فعطف أفلاطونى ، عطف يتبخر ، عطف لا يمكن أن يتحول الى مال أو مجهود . وكان الرأى العام قوياً مسلحاً فتغلب وانتقم وأصبحت له السلطة التامة ، وانهزم أمامه فريق المفكرين الصرحاء هزيمة منكرة ؛ ولم تكن له أمثلة كثيرة فى تاريخه القريب فاضطر الى التسليم ، بل وفى بعض الأحيان رجع عن رأيه الى آرائهم ، وعن منهجه الى منهجهم ، وتعود المجاراة بدل المقاومة ، والمداراة مكان الصراحة ، فلم يعد هناك معسكران ولم يعد صراع ، إنما هو معسكر واحد ولا قتال ..وتعلم الجيل اللاحق من الجيل السابق فاختط خطته ونهج منهجه وأخذ الدرس عن أخيه الأكبر ففضل السلامة .

وبذلك اختنق النقد الأدبى فى مهده ، وأصبح الأدب مدرسة واحدة يختلف أفرادها اختلافاً طفيفاً ، فى العرض لا فى الجوهر . لامدارس متعددة تتناحر وتتعاون ، وتتعادى وتتصادق، وفى عداوتها وصداقتها الخير ؛ ولا أمل فى عودة النقد الصريح إلا ببذرة جديدة وروح جديد على شرط أن تكون البذرة صلبة تتحمل حوادث الدهر وعوادى الأيام

ويتصل بهذا أن الأدباء عندنا صنفان : صنف نضج وتكون واستوى على عرش الأدب ، وهؤلاء هم القادة ، وهم أفراد معدودون تسالموا وتهادنوا وحرمنا ما بينهم من خصومة أدبية وعلمية ، وأصبح كل منهم كالعُشَراء لا تميل إلى النطاح ولا ترجو إلا السلامة . وصنف ناشئ هو فى طور التكون ، وهو يخشى أن يتعرض لمن استوى على العرش فيبطش به بطشة جبارة ترده إلى أسفل ، فلما جامل الكبراء بعضهم بعضاً وخاف الناشئون من الكبراء ، ضاع النقد بين هؤلاء وهؤلاء

ولعل من أسباب ضعف النقد أيضاً السياسة قاتلها الله ، فقد تدخلت أولاً فنصرت الجمهور على القادة ، وعاونت الرأى العام على المفكرين ؛ وما كان الجمهور والرأى العام ينتصران هذا النصر لو وقفت السياسة على الحياد ، ولو فعلت لكان الحرب سجالاً ، ولظل المعسكران فى قتال ؛ وفى هذا تمحيص كبير للآراء ، فيصد الرأىُ العام المتطرفين ، ويدفع القادةُ غلاة المحافظين ، والأمة من هذا وذاك فى استفادة دائمة . أما أن تدخل السياسة فتبيد معسكراً بأكمله ، فكان الضرر كل الضرر . ثم إن السياسة — ثانياً — دخلت فى الأدب وقومت الأديب بلونه السياسى ، ولم يستطع الناس التفرقة بين موازين الأدب وموازين السياسة ، فأفسد ذلك الأدب والنقد معاً . قد تقول إن السياسة تلعب هذا اللعب فى الأمم الممدنة ولم يكن لها هذا الأثر ، ولكنا نقول إن الأمم الناشئة تتضرر من تدخل السياسة أكثر مما تتضرر الأمم العتيدة ، وأكبر مظهر فى ذلك أنه ليس بين أحزابها تنافر كالذى بين أحزابنا ، ولا ينكل حزب بالأحزاب الأخرى كما يحدث بيننا ، فالخصومة السياسية عندهم لا تفقد الصداقة فى أغلب الأحيان ، وكذلك الشأن فى الخصومات الأدبية . أما الأمم الناشئة فلا تفهم من الخصومة السياسية والأدبية والعلمية إلا العداء العنيف ، وفى العداء العنيف قتل للحرية

وهناك أسباب أخرى غير ما ذكرت لعل الكتاب يعرضون لها فيكشفون عن أسباب هذا الداء الخطير ويصفون له ما يتطلب من دواء ناجع ؟!

أحمد أمين

٣ ـ العجوزان

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

قال المحدِّث : وتبين فى العجوز (ن) أثرُ التعب فتوجع وأخذ يئنُّ كأن بعضه قد مات لوقته ... أو وقع فيه اختلالٌ جديد أو نالته ضربةُ اليوم ؛ والشيخ متى دخل فى الهرم دخل فى المعركة الفاصلة بينه وبين أيامه

ثم تأفف وتململ وقال : إن أولَ ما يظهر على من شاخ وهرِم ، هو أن الطبيعة قد غيرت القانون الذى كانت تحكمه به

قال الأستاذ (م) : إن صاحبنا كان قاضياً يحكم فى المحاكم ، وأرى المحاكم قد حكمت عليه بهذه الشيخوخة (مُطَبِّقةً فيها) بعضَ المواد من قانون العقوبات ، فما خرج من المحكمة إلا إلى الحبس الثالث

فضحك (ن) وقال : قد عرفنا « الحبس البسيط » و« الحبس مع الشغل » فما هو هذا الحبس الثالث ؟

قال : هو « الحبس مع المرض » ...

قال (ن) : صدقتَ لعمرى فان آخر أجسامنا لا يكون إلا بحساب من صنعة أعمالنا ؛ وكأن كرسى الوظيفة الحكومية قد عرف أنه كرسيُّ الحكومة ، فهو يضرب الضرائب على عظام الموظفين ... أتدرى معنى قوله تعالى : « ومنكم من يُردُّ إلى أرذل العُمُر » ولِمَ سماه الأرذل ؟

قلنا : فلمَ سماه كذلك ؟

قال : لأنه خَلْطُ الانسان بعضه ببعض ، ومسخُه من أوله إلى آخره ، فلا هو رجلٌ ولا شاب ولا طفل ، فهو أردأ وأرذل ما فى البضاعة ...

فاستضحك الأستاذ (م) وقال : أما أنا فقد كنت شيخاً حين كنت فى الثلاثين من عمرى ، وهذا هو الذى جعلنى فتًى حين بلغت السبعين

قال (ن) : كأن الحياة تصحح نفسها فيك

قال : بل أنا أكرهتها أن تصحح نفسها ؛ فقد عرفتُ من قبل أن سَيِّئَةَ الانفاق فى الشباب هى ضائقة الإفلاس فى الهرم ، وأيقنتُ أن للطبيعة (عدَّادا) لا يخطئُ الحساب ، فاذا أنا اقتصدت عدَّت لى ، وإذا أسرفتُ عدَّت علىَّ ؛ ولن تعطينى الدنيا بعد الشباب إلا مما فى جسمى ، إذ لا يعطى الكون حياً أراد أن ينتهى منه ، فكنت أجمل نفسى كالشيخ الذى تقول له اللذات الكثيرة : لستُ لك ، ومن ثم كانت لذاتى كلها فى قيود الشريعتين : شريعة الدين وشريعة الحياة

قال : وعرفت أن ما يسميه الناس وَهَنَ الشيخوخة لا يكون من الشيخوخة ولكن من الشباب ؛ فما هو إلا عملُ الانسان فى تسميم جسمه ثلاثين أو أربعين سنة بالطعام والشراب والاغفال والارهاق والسرور والحزن واللذة والألم ؛ فكنت مع الجسم فى شبابه ليكون معى بعد شبابه ، ولم أبرح أتعاهدُه كما يتعاهد الرجلُ داره ، يزيد محاسنها وينفى عيوبها ، ويحفظ قوَّتها ويتقى ضعفها ، ويجعلها دائماً باله وهمه ، وينظر فى يومها القريب لغدها البعيد ، فلا ينقطع حسابُ آخرها وإن بعُدَ هذا الآخر ، ولا يزال أبداً يحتاط لما يخشىَ وقوعه وإن لم يقع

قال العجوز (ن) : صدقت والله فما أفلح إلا من اغتنم الامكان ؛ وما نوع الشيخوخة إلا من نوع الشباب . وهذا الجسم الانسانى كالمدينة الكبيرة فيها (مجلسها البلديُّ) القائم على صيانتها ونظامها وتقويتها ، ورئيس هذا المجلس الارادة ، وقانونه كله واجبات ثقيلة ، وهو كغيره من القوانين إذا لم ينفذ من الأول لم يُغن فى الآخر

قال الأستاذ (م) : وكل جهاز فى الجسم هو عضو من أعضاء ذلك (المجلس البلدى) ؛ فجهاز التنفس وجهاز الهضم والجهاز العضلى والجهاز العصبى والدورة الدموية ، هذه كلها يجب أن تترك على حريتها الطبيعية وأن تعان على سنتها ، فلا يحال بينها وبين أعمالها برشوة من لذة أو مفسدة من زينة أو مطمعة فى رفاهية أو دعوة إلى مدنية أو شىء مما يفسد حكمها أو يعطل عملها أو يضعف طبيعتها

والقاعدة فى العمر أنه إذا كان الشبابُ هو الطفولة الثانية فى براءته وطهارته ، كانت الشيخوخة هى الشباب الثانى فى قوتها ونشاطها . وما رأيت كالدين وسيلة تجعل الطفولة ممتدة بحقائقها

إلى آخر العمر فى هذا الانسان ؛ فسرُّ الطفولة إنما هو فى قوتها على حذف الفضول والزوائد من هذه الحياة ، فلا يُطغيها الغنى ، ولا يكسرها الفقر ، ولا تذلها الشهوة ، ولا يُفزعها الطمع ، ولا يهولها الاخفاق ، ولا يتعاظمها الضر ، ولا يخيفها الموت . ثم لا تملُّ وهى الصابرة ، ولا تبالغ وهى الراضية ، ولا تشك وهى الموقنة ، ولا تسرف وهى القانعة ، ولا تتبلد وهى العاملة ، ولا تجمد وهى المتجولة . ثم هى لا تتكلف الانسانية إلا العطف والحب والبشاشة وطبائع الخير التى يملكها كل قلب ؛ ولا توجب شريعتها فى المعاملة إلا قاعدة الرحمة ، ولا تقرر فلسفتها للحياة إلا طهارة النظر ؛ ثم تتهكم بالدنيا أكثر مما تهتمُّ لها ، وتستغنى فيها أكثر مما تحتاج ، وتستخرج السعادة لنفسها دائماً مما أمكن ؛ قلَّ أو كثر

وبكل هذا تعمل الطفولة فى حراسة الحياة الغضة واستمرارها ونموها ؛ ولولا ذلك لما زها طفل ولا شبَّ غلام ولا رأت العيون بين هموم الدنيا ذلك الرُّواء وذلك المنظر على وجوه الأطفال يثبتان أن البراءة فى النفس أقوى من الطبيعة

وكل ذلك هو أيضاً من خصائص الدين وبه يعمل الدينُ فى تهذيب الحياة واطّرادها على أصولها القوية السليمة ، ومتى قوى هذا الدين فى إنسان لم تكن مفاسد الدنيا إلا من وراء حدوده ، حتى كأنه فى أرض وهى فى أرض أخرى ؛ وأصبحت البراءة فى نفسه أقوى من الطبيعة

ثم قال : والعجيب أن اعتقاد المساواة بين الناس لا يتحقق أبداً بأحسن معانيه وأكملها إلا فى قلبين : قلب الطفل لأنه طفل ، وقلب المؤمن لأنه مؤمن

فقال العجوز (ن) : إنه لكما قلت ، ولعنة الله على هذه الشهوات الآدمية الباطلة . فان الشهوة الواحدة فى ألف نفس لتجعل الحقيقة الواحدة كأنها ألف حقيقة متعادية متنازعة . والطامعان فى امرأة واحدة قد تكون شهوة أحدهما هى الشهوة وهى القتل . ولعنة الله على الملحدين والخادم ، يزرون على الأديان بأنها تكاليف وقيود وصناعة للحياة ، ثم لا يعلمون أن كل ذلك لصناعة الآلة النفسية التى تستطيع أن تحرك المختلفين حركة واحدة ، فما ابتليت الانسانية بشىء كما ابتليت بهذا الخلاف الذى يفتح من كل نفس على كل نفس أبواب التجنى ، ويجعل النَّفرةَ وسوء الظن أقرب إلى الطبيعة البشرية من الألفة والثقة

لقد جاء العلم بالمعجزات ولكن فيما بين الانسان والطبيعة ، وبين الانسان ومنافعه ، وبين الانسان وشهواته ؛ فهل غير الدين يجىء بالمعجزات العملية فيما بين النفس والنفس ، وبين النفس وهمومها ، وبين ما هو حق وما هو واجب ؟

* * *

قال المحدِّث : ثم نظر الىَّ العجوز (ن) وقال : صِلْ عمك يا بنى بالحديث الذى مضى ، فأين بلغنا آنفاً من أمر التجديد والمجددين وماذا قلنا وما ذا قلت ؟ أما إن الحماقة الجديدة والرذيلة الجديدة والخطأ الجديد ، كل ذلك إن كان جديداً من صاحبه فهو قديم فى الدنيا ؛ وليس عندنا أبداً من جديد إلا اطلاق الحرية فى استعمال كل أديب حقه فى الوقاحة والجهل والخطأ والغرور والمكابرة

قال الأستاذ (م) : وليس الظاهر بما يظهر لك منه ولكن بالباطن الذى هو فيه ؛ فمستشفى المجاذيب قصر من القصور فى ظاهره ولكن المجاذيب هم حقيقته لا البناء . وكل مجدد عندنا يزعم لك أنه قصر عظيم وهو فى الحقيقة مستشفى مجانين ، غير أن المجانين فيه طباع وشهوات ونزوات . وعلى هذا ما الذى يمنع الفجور المتوقح أن يسمى نفسه الأدب المكشوف ؟

قال (ن) : وإذا أنت ذهبت تعترض على هذه التسمية زعموا لك أن للفن وقاحة مقدسة .... وأن (لاأدبية) رجل الفن هى (اللاأخلاقية العالية) . . . .

قال الأستاذ (م) : فوقاحة الشهوة إذا استعلنت بين أهل الحياء وأهل الفضيلة ودعت الى مذهبها ، كانت تجديداً ما فى ذلك ريب . ولكن هذا المذهب هو أقدم ما فى الأرض إذ هو بعينه مذهب كل زوجين اجتمعا من البهائم منذ خلق الله البهائم . . .

قال (ن) : وقل مثل ذلك فى متسخط على الله وعلى الناس يخرج من كفره بين أهل الأديان أدباً جديداً ، وفى مغرور يتغفل الناس ، وفى لص آراء ، وفى مقلد تقليداً أعور ؛ كل واحد من هؤلاء وأشباههم مبتلى بعلة ، فمذهبه رسالة علته ؛ وأكثرهم

لا يكون ثباته على الرأى الفاسد إلا من ثبات العلة فيه

* * *

قال المحدِّث : وكنتُ من المجددين فأرمضني ذلك ، وقلت للعجوزين : إن هذا نصف الصحيح ؛ أما النصف الآخر فهو فى كثير من هؤلاء الذين ينتحلون الدفاع عن الدين والفضيلة . نعم إنهم لا يستعملون حقهم فى الوقاحة ، ولكن القروش تستعمل حقها . . .

فضحك العجوز (ن) وقال : يا بنى إن الجديد فى كل حمار هو أن يزعم أن نهيقه موسيقى ... فالحمار والنهيق والموسيقى كل ذلك لا جديد فيه ، ولكن التسمية وحدها هى الجديدة . ولو كان البرهان فى حلق الحمار لصح هذا الجديد ، غير أن التصديق والتكذيب هنا فى آذان الموسيقيين لا فى حلق حمارنا المحترم . . .

قال (م) : وزعموا أن رجلا نصب فخا لصيد العصافير ، فجاء عصفور فنظر من هذا الفخ الى شىء جديد فقال : يا هذا ! مالك مطمورا فى التراب ؟ قال الفخ : ذلك من التواضع لخلق الله . قال : فِمَّ كان انحناؤك ؟ قال الفخ : ذلك من طول عبادتى لله . قال : فما هذه الحبة عندك ؟ قال الفخ : أعددتها لطيور الله الصائمين يفطرون عليها . قال العصفور : فتُبيحها لى ؟ قال : نعم

فتقدم المسكين اليها ، فلما التقطها وقع الفخ فى عنقه ، فقال وهو يختنق : إن كان العُبَّاد يخنقون مثل هذا الخنق فقد خلق ابليس جديد

قال (ن) : فالحقيقة أن إبليس هو الذى تجدد ليَصْلُح لزمن الآلات والمخترعات والعلوم والفنون وعصر السرعة والتحول . وما دام الرقى مطردا وهذا العقل الانسانى لا يقف عند غاية فى تسخير الطبيعة ، فسينتهى الأمر بتسخير إبليس نفسه مع الطبيعة .. لاستخراج كل ما فيه من الشر

قال (م) : ولكن العجب من ابليس هذا . أتراه انقلب أوربيًّا للأوربيين ؟ وإلا فما بالُه يخرج فيهم مجددين من جبابرة العقل والخيال ثم لا يؤتينا نحن إلا مجددين من جبابرة التقليد والحماقة ؟

قال المحدث : فقلت لهما : أيها العجوزان القديمان ، سأنشر قولكما هذا ليقرأه المجددون

قال الأستاذ (م) : وانشر يابنى أن الربيع صاحب الامام الشافعى مرَّ يوماً فى أزقة مصر فنثرت على رأسه إجانة[1] مملوءة رمادا ، فنزل عن دابته وأخذ ينفض ثيابه ورأسه فقيل له : ألا تزجرهم ؟ قال : من استحق النار وصولح بالرماد فليس له أن يغضب . . .

* * *

ثم قال محدثنا : واستولى علىَّ العجوزان ورأيت قولهما يعلو قولى وكنت فى السابعة والعشرين وهى سن الحِدَّة العقلية فما حسبتُنى معهما إلا ثُلث عجوز . . . . مما أثرا على ، وانقلبت لا أرى فى المجددين الا كل سقيم فاسد ، واعتبرتُ كل واحد منهم بعلته ، فاذا القول ماقال الشيخان وإذا تحت كل رأى مريض مرضٌ ، ووراء كل اتجاه ابرة مغناطيسية طرفها إلى الشيطان ...

وفرغنا من هذا فقلت للشيخين : لقد حان وقت نزولكما من بين الغيوم أيها الفيلسوفان ؛ أما كنتما فى سنة ١٨٩٥ من الجنس البشرى . . ؟

(لها بقية — طنطا) مصطفى صادق الرافعي

(١) قصعة

بعد انهيار الحبشة

الخـــطر الفاشستي

والصراع بين الفاشستية والامبراطورية البريطانية

لباحث دبلوماسي كبير

انتهت أعمال القرصنة الايطالية فى الحبشة إلى نتيجة لم يتوقعها كثيرون من رجال الحرب والسياسة ؛ فقد انتهت بانهيار قوى الحبشة بسرعة ، وسقوط قواعدها فى يد العدو المغير بلا مقاومة ، ومثول عاهلها الأمبراطور إلى الخارج ، تاركا ملكه ووطنه وأمته إلى مصاير مجهولة . واستطاع موسولينى زعيم الفاشستية المعتدية أن يعلن خلال مناظر مسرحية ضم الحبشة لايطاليا وتعيين ملك ايطاليا امبراطوراً للحبشة

ومن العبث أن نحاول التحدث هنا عن أسباب انهيار المقاومة الحبشية بتلك السرعة المدهشة بعد أن استطاعت أن تصمد فى وجه العدو أشهراً ، وأن تقف زحفه سواء فى الشمال أو الجنوب حتى شهر مارس الماضى ؛ ولكن المحقق أن هذا التطور الفجائى فى أقدار الحرب يرجع قبل كل شىء إلى التجاء الايطاليين ، بعد أن عجزوا عن التغلب بوسائل الحرب المشروعة إلى استعمال وسائل الحرب المحرمة كالغازات القاتلة وغيرها ؛ وهكذا استطاعوا بتلك الوسائل المجرمة أن يمزقوا صفوف الأحباش ، وأن يلقوا الروع فى نفس الشعب الحبشى بأسره ، هذا إلى ما يذاع من أنهم استطاعوا أن يبثوا بالرشوة والاغراء كثيرا من أسباب الشقاق بين مختلف الرؤوس والزعماء

على أن هـذا النصر المثير الملوث بأدران الجريمة ، والذى يعتبر بحق قرصنة استعمارية محضة ، لم يمنع الفاشستية الايطالية من أن تزفه إلى العالم نصرا رومانياً للحضارة والمسيحية المتمدنة ، على بلاد همجية تتوق إلى الانضواء تحت السيادة الايطالية الظليلة ، والأخذ بأسباب الحضارة الايطالية الزاهرة ! ولم يمنع زعيم الفاشستية من أن ينوه بأسلوبه المسرحى بعظمة هذا النصر الفاشستى ، وبأنه عنوان ساطع لقوة ايطاليا الفتية ، وأن يتوعد أوربا والعالم كله بأنه على استعداد لأن يسحق أية قوة أو دولة تحاول أن تقف فى سبيله أو تحاول أن تحرمه من ثمار ظفره

ولو عيد موسولينى مغزاه ؛ ذلك أن إيطاليا تستقر الآن فى الحبشة بقوة الفتح فقط ، ولـكن هذه الحقيقة الواقعة لا يمكن أن تعتبر حلاً نهائياً المسألة الحبشية ، وإنما تنتقل المسألة الحبشية الآن من ميدان الحرب إلى ميدان الحوادث الدولية والصراع الاستعمارى . ولنذكر دائماً أن ما أبدته عصبة الأمم من إقدام فى الحكم على إيطاليا بالاعتداء وتوقيع العقوبات الاقتصادية عليها يرجع قبل كل شىء إلى تدخل انكلترا ونفوذها ؛ وانكلترا لم تتدخل ولم تعمل لتنظيم هذه الحركة الدولية تأييداً لميثاق العصبة ومبدأ السلامة المشتركة فقط ، ولـكن لأن الانتصار الفاشستى فى الحبشة يهدد صرح الامبراطورية البريطانية ومصالحها الحيوية بأعظم الأخطار

وقد عقدت الآمال من قبل على تدخل العصبة وجهودها ؛ وما زالت العصبة على موقفها من استنكار عمل ايطاليا وتأييد العقوبات الاقتصادية المفروضة عليها ؛ وربما اتخذت اجراءات أخرى فى هذا السبيل فى اجتماعها الذى سيعقد فى الخامس عشر من يونيه ؛ ولـكنا نستطيع منذ الآن أن نضرب صفحاً عن الدور الذى يمكن أن تؤديه العصبة فى حل المشكلة الحبشية بعد أن انهار تدخلها ، ولم تستطع أن تنفذ كل ما يقضى به ميثاقها للتوسل إلى ارغام المعتدى على وقف الاعتداء

والآن ينكشف النضال واضحاً عن معركة دولية ذات وجهين : أحدهما قد اتخذ حتى اليوم ستاراً للآخر ؛ فأما الوجه الأول فهو مبدأ السلامة المشتركة طبقاً لميثاق عصبة الأمم ، وهو المبدأ الذى انتهكته إيطاليا بغزو الحبشة ، وحاولت العصبة تأييده بفرض العقوبات ؛ فالدول الصغرى من أعضاء العصبة تتساءل اليوم ، هل فى وسعها أن تعتمد فى سلامتها الخاصة على تطبيق هذا المبدأ بعد الفشل الذى لحق العصبة فى وقف الاعتداء الايطالى ؟ أم هل يجب عليها أن تبحث عن وسائل عملية أخرى كعقد المواثيق المحلية لتأمين سلامتها ؟ إن ما ارتكبته إيطاليا فى الحبشة يمكن أن ترتكبه غداً فى تركيا ، أو فى اليونان ، ويمكن أن ترتكبه ألمانيا فى النمسا أو هولنده أو اتوانيا ، ويمكن على وجه العموم أن ترتكبه أية دولة قوية ضد أية دولة ضعيفة دون أن تجد وازعاً كافياً لوقف

عدوانها ؛ فأنصار عصبة الأمم يرون فى هذا الطور الحاسم من تاريخ العصبة أن لا أمل فى نجاح مبدأ السلامة المشتركة ما لم يعدل دستور العصبة فى هذا الشأن تعديلاً وافياً ، وتنظم العقوبات الاقتصادية والعسكرية التى تطبقها العصبة على المعتدى تنظيما يكفل أثرها فى وقف الاعتداء المسلح بسرعة ؛ وخصوم العصبة يرون أن التجربة الحبشية كانت حاسمة ، فعلى عصبة الأمم أن تعلن افلاسها ، وعلى الدول أن تعتمد على وسائلها الخاصة للدفاع عن نفسها ؛ وتقف الدول الصغرى فيما بين ذلك حيرى ، ولكنها تعمل من جهة أخرى على تنظيم وسائل الدفاع عن نفسها جهد المستطاع

وأما الوجه الثانى من هذه المعركة الدولية ، فهو نشوب النضال بين قوة عسكرية جديدة طامحة ، هى الفاشستية الايطالية ، وبين امبراطورية استعمارية عتيدة ، هى الامبراطورية البريطانية ؛ ولم يكن خافياً منذ البداية أن نشاط السياسة البريطانية فى توجيه عصبة الأمم إنما هو مرحلة فقط من مراحل النضال الحقيق ؛ والآن وقد انتهت هذه المرحلة بظفر العسكرية الفاشستية ، وهزيمة السياسة البريطانية ، فان النضال يوشك أن يدخل طوره الثانى ؛ وقد أدركت بريطانيا العظمى منذ البداية ما تهدد به تلك الفاشستية المضطرمة الطامحة ، سيادتها فى البحر الأبيض ، وما يهدد به ظفرها فى الحبشة سيادتها فى وادى النيل وشرق أفريقية ؛ وسيادة الامبراطورية البريطانية ومواصلاتها ، صرح لا يتجزأ ، فأى صدع يصيبها يعرض البناء كله للخطر ؛ ولم تخف الفاشستية ولا سيما منذ ظفرها فى الحبشة ، أنها تداعب حلماً امبراطورياً ضخماً ، وما فتئ زعيمها يتحدث عن احياء الامبراطورية الرومانية ؛ وليس من ريب فى أن السياسة البريطانية ترى فى هذه العسكرية الطامحة المتجنية ، المعتدة بقوتها ، المعتزة بظفرها ، خطراً عظيماً على كيان صرحها الامبراطورى ، تزمع سحقه بأى الوسائل

— ٢ —

وليست انكلترا وحدها هى التى تستشعر ذلك الخطر العسكرى الجديد الذى تهب ريحه على أمم البحر الأبيض بنوع خاص ، بل إن أمم أوربا كلها تستشعر به وتخشى تفاقمه ؛ وإذا كانت ثمت دول مثل فرنسا وألمانيا والنمسا تنظر إلى نهوض الفاشستية بعين الاغضاء ، وربما بعين الرضى ، فذلك لظروف خاصة مؤقتة لا تلبث أن تزول فتشعر هذه الأمم بنفس الشعور الذى يثيره ظهور عسكرية جديدة جامحة تحتقر العهود والمواثيق الدولية وتجعل شعارها القوة الغاشمة دون غيرها

وأمامنا التاريخ الأوربى الحديث ، يعيد نفسه دائماً ؛ وفى رأينا أنه سيعيد نفسه فى القريب العاجل مرة أخرى

ذلك أن أوربا ، وانكلترا بنوع خاص ، لم تتسامح قط فى أمر العسكريات القوية المعتدية ؛ ولم تنهض فى أوربا أية عسكرية قوية طامحة ، خلال القرون الأربعة الأخيرة ، إلا اجتمعت أوربا على مقاومتها وسحقها

وقد كانت العسكرية البروسية آخر عسكرية من هذا النوع ، لقيت مصرعها فى الحرب الكبرى

ومنذ القرن السادس عشر يعيد التاريخ الأوربى الحديث نفسه فى هذا الميدان بصورة واضحة ؛ فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، كانت العسكرية التركية تجول ظافرة فى جنوب شرق أوربا وأواسطها حتى حدود بولونيا ، وقد اجتاحت حوض الدانوب حتى أسوار فينا ، وحاصرت العاصمة النمسوية مرتين ، فما زالت أوربا حتى حطمت هذه النهضة العسكرية الخطرة فى البر والبحر ، وردتها الى ما وراء الدانوب ، وحرمتها من كل ثمار ظفرها ؛ وفى القرن السابع عشر ، قام لويس الرابع عشر يهدد سلام أوربا الغربية بأطماعه ومغامراته العسكرية ، فما زالت الدول الخصيمة وفى مقدمتها انكلترا والنمسا حتى سحقت قواه العسكرية ، بعد سلسلة من الحروب الطاحنة ؛ وفى أوائل القرن الثامن عشر كان كارل الثانى عشر ملك السويد يجتاح بجيوشه ضفاف البلطيق وغرب روسيا ، ويهدد التوازن الأوربى فى شرق أوربا ، فما زالت روسيا حتى سحقت مشاريعه وقواه

وربما كان أعظم مثل فى التاريخ الحديث لذلك الصراع الخالد فى سبيل التوازن الأوربى ، وسحق العسكريات الجامحة ، مثل نابليون بونابارت ؛ فقد ظل هذا الجندى العظيم الطامح يقود جيوشه الظافرة فى جنبات أوربا مدى عشرين عاما ، ويبسط سيادته على معظم الدول الغربية والوسطى ، ويعمل بكل ما وسع لتحطيم سيادة انكلترا فى البحر الأبيض ؛ ولكن انكلترا لبثت تطاوله وتصارعه وتؤلب عليه الدول الخصيمة ، حتى انتهت بسحقه وتحطيم ذلك الطغيان العسكرى الشامل الذى بسطته

الأمبراطورية على أوربا زهاء عشرة أعوام

وقد رأينا كيف اجتمعت أوربا الغربية ، وفى مقدمتها انكلترا ، أثناء الحرب الكبرى ، لتحطيم العسكرية البروسية ، التى وثبت تهدد العالم بأطماعها الجائشة فى السيادة والاستعمار ، وكيف لقيت مصرعها بعد حرب كانت أروع ما شهد التاريخ

والآن يبدو الخطر الفاشستى فى الأفق ، وتنذر العسكرية الفاشستية الجامحة بتحطيم التوازن الأوربى فى شرق أوربا وفى وسطها ، وتتحدى بالأخص سيادة انكلترا البحرية فى البحر الأبيض ؛ وقد زادها انتصارها فى الحبشة زهوا وتحديا ، فهل تصبر أوربا ، وهل تصبر انكلترا بنوع خاص حتى يتفاقم الخطر الفاشستى كما تفاقم الخطر البروسى قبيل الحرب؟ هذا ما لا نعتقد ، وفى يقيننا أن الامبراطورية البريطانية تتأهب لخوض ذلك الصراع التقليدى الذى حرصت دائماً على خوضه لتحطيم ذلك الطغيان العسكرى الجديد الذى يهدد سيادتها ومصالحها الحيوية فى البحر الأبيض وفى شرق أفريقية ، وإذا كانت السياسة البريطانية ما زالت تبدى بعض الفتور والتردد فى العمل الحاسم فذلك لأن مصاير الحرب والتسليحات الحديثة قد اتخذت وجهة جديدة ، ولم تعد السيادة البحرية وحدها كافية لأن تملى بريطانيا كلمتها ؛ ومن تقاليد بريطانيا المأثورة أنها لا تتعجل الحوادث ، ولا تسارع الى قبول التحدى الطائش ؛ وبريطانيا تزن اليوم أقدار الحرب والنضال بميزان جديد لم تستقر عوامله بعد ؛ وقد يمضى وقت آخر قبل أن تنزل بريطانيا الى ميدان العمل الحاسم

قد تستطيع الفاشستية الجامحة فى نشوة ظفرها المزعوم ، أن تزعج أوربا وانكلترا ، مدى حين بمشاريعها ووعيدها ؛ ولكن الفاشستية تخطىء بلا ريب إذا هى اعتقدت أن الظفر ميسور فى ميادين أخرى غير الحبشة ، وأنها تستطيع فى مكان آخر من أوربا ، أو افريقية ، أن تستعمل وسائلها العسكرية المجرمة فى تحقيق أحلامها الرومانية ، دون عقاب أو وازع ؛ وهنالك حقيقة لا ريب فيها ، وهى أن الفاشستية قد بثت بمسلكها وغرورها ووعيدها مخاوف ما كان اغناها عن بثها ، وأنها سترغم بلا ريب ، فى القريب العاجل ، على خوض الصراع الحاسم ؛ وليس من ريب فى أنها ستسحق فى هذا الصراع ، كما سحقت كل عسكرية أوربية جامحة من قبلها

* * *

امتزاج الاحاسيس

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

قال المتنبى :

والذل يظهر فى الذليل مودة   وأود منه لمن يود الأرقم

وأحسب أن المتنبى إنما أراد أن يصف الذليل المداجى الذى يظهر المودة ويخفى الضغينة والعداء ، فيتودد ويتذلل حتى ينال من خصمه . وهذه صفة شائعة فى ذوى الكيد والمكر والدهاء . ولكن هناك صفة أخرى فى النفس الانسانية تشبه هذه الصفة بعض الشبه ، وهى صفة المحبة والمودة التى يحسها الخائف إحساساً حقيقياً لا مداجاة فيه إذا عجز عمن يخاف منه وألف الخوف فأزالت ألفة الخوف غلواءه ، وأزالت الرغبة فى التخلص منه ، وأبعدت هى والعجز أمل الانتقام من أجله ، فتحول ارادة المحافظة على الحياة ذلك الخوف المألوف محبة أو مودة تحاول بها نيل الزلفى لدى الانسان المخوف من طريق الاحساس الصادق بالمحبة أو المودة ، وتحاول أن تسل بها من قدرة المخوف حمة البغض وسم الضغينة ، لأن ارادة المحافظة على الحياة تعلم أن مودة الرياء ومحبة النفاق قد لا تقنع ، وقد تنكشف ويشف ثوب الرياء عما تحته فينال الخائف المرائى شراً إذا انكشفت مداجاته وعرفت مداهنته ، ومن أجل ذلك تبالغ إرادة المحافظة على الحياة فى الحيطة والحذر ، فتحول الخوف من الانسان المخوف الى حب له أو مودة كى تقنعه وتتقى بوادر شره ، وهى أيضاً تحاول أن تقنع بتلك المودة نفس من يحسها ، وتفهمها أن لا داعى لليأس من الحياة كى لا يرهقها الخوف واليأس ؛ وهذا أمر مشاهد إذا قرأ الانسان سفر الحياة وتقصى البحث فى تكوين النفوس

وهذه المحبة قد تزول وقد تبقى بعد زوال أسباب الخوف ، وقد تقوى أواصرها بعد الرهبة ولا سيما إذا حلت الرغبة مكان الرهبة ، ووجدت النفس منفعة دنيوية أو نفسية لها عند من زالت أسباب الخوف منه ؛ وقد تنقلب تلك المحبة إذا زالت أسباب الخوف مقتاً ورغبة فى الانتقام ، فيحسبها الباحث أنها لم تكن إلا مداهنة ونفاقا ، وهى قد تكون ذلك ، وقد تكون كما شرحنا محض المودة والشعور الصادق بها ، لأن احساسات

النفس تمتزج وتتحول وتتشكل أشكالاً وتتلون ألواناً فى السرائر ، فكأن فى النفس البشرية سر الكيمياء الذى حاول الكيميائيون فى القرون الوسطى معرفته كى يتمكنوا من تحويل معدن إلى معدن ، فهذا التحول الذى وصفناه من كيمياء النفوس فى معامل السريرة الخفية

وكما أن امتزاج الخوف والمحبة يشاهد فى الأضداد البعداء من قوى مسيطر وضعيف ذليل ، إذا تهيأت للأول أسباب القوة من جاه أو مال أو صحة ، وخذلت تلك الأسباب الذليل الضعيف وقهرته على أن يعتمد على صاحب المال أو الجاه ، فذلك الامتزاج يشاهد أيضاً فى نفوس الأصدقاء والأوداء والأحباء والأقرباء . فكم من امرأة تحب زوجها حباً صادقا أساسه الخوف منه ؛ وكم من رجل يحب زوجه حباً صادقا يخالطه الخوف ؛ وكم من قريب يود قريباً ، وصديق يود صديقاً وداً تمازجه الرهبة أو الخشية

وإذا تقصينا البحث وجدنا ماهو أعجب من ذلك ، فقد يمتزج البغض والحب فى النفوس ، فقد يبلغ العاشق منزلة من العشق تشرف على البغض والمقت لمن يعشق ، وقد تتذبذب نفس العاشق بين الحب والبغض أو قد تجمعهما فى وقت واحد ، فهى تارة تريد الخير لمن تحب ، وتارة تريد الشر ، وتارة تجمع بين إرادة الخير وإرادة الشر — ويمتزج الأخاء والجفاء فى نفوس الأصحاب ، ويمتزج الاحترام والاحتقار فى نفوس الجلساء والمتعاشرين ، كما يمتزج الحب والبغض فى نفوس العشاق ، أو كما يمتزج الخوف والود فى نفوس الضعفاء ، فترى الصاحب أو الجليس يبالغ تارة فى إخائه لصاحبه وجليسه ومعاشره ويكثر من إكرامه وإجلاله ، وتارة يظهر له الجفاء وقلة الاكتراث أو العبث به أو الحط منه ، وتارة يجمع فى مجلسه بين النقيضين

وكل إنسان يشتكى هذه الصفة فى النفوس ، ولكل إنسان نصيب منها قل أو كثر وإنما يفطن إلى ما فى نفوس الناس ولا يفطن إلى نصيب نفسه منها . وينقسم الناس فى تدبر هذه الصفات ثلاثة أقسام : أناس يأبون الرضاء بها فيعتزلون الناس ما استطاعوا إلى العزلة سبيلاً ؛ وأناس ينقدونها ويودون لو تكون النفوس على حال واحدة ، ولكنهم يعرفون استحالة هذه الودادة فيقنعون بما هو مستطاع من النفس والحياة ، وأناس لا يرون إعنات أنفسهم بالسخط على هذه الصفات النفسية ، ومنهم من يرى فى تلون نفوس الناس وتقلبها وجمعها بين النقيضين رحمة أو تفكهة أو اراحة وترفيهاً ، ويمقتون من لا يباشرهم على هذه الخلال ، وربما كان فى قولهم شىء من الحق والصواب ، وربما كنا نزهد فى الحياة لو كانت نفوس الناس على حال واحدة لا تتغير ، فان الحال التى لا تتغير مدعاة السأم والملل كسأم الذى يعيش فى مكان قفر موحش لا يرى منه إلا مظهرا واحداً لا يتغير فى أرضه أو سمائه

ولعل من أشد العقوبات وأقساها أن يحكم على انسان ألا يأكل طول حياته غير السكر ، فهو قد يشتهيه فى أول الأمر ، فاذا طال به العهد اعتراه السأم والملل ؛ وكذلك ربما كان الجفاء مدعاة إلى التمتع بالأخاء ، وقلة الاكتراث مدعاة إلى التنعم بالاكرام ، والبغض حافزا إلى استمراء الحب ، كما أن اللذة لا يحسها إلا من يستطيع الاحساس بالألم . وهذه فلسفة لا شك فيها ، ولكن الكثير من أمزجة النفوس تأباها ، إما لأنها مرهفة الحس فلا تنسيها اللذة الألم والأخاء الجفاء ، وإما لأنها إذا أحست ألماً أو عانت جفاء أو قاست عداء لا تطمئن إلى زواله ، وقد تستبطىء زواله فيدركها اليأس والحزن

والحزن من تقلب النفوس وتلونها واختلافها نفساً عن نفس وحالا عن حال كثيراً ما يدرك الشاب القليل الخبرة بالحياة والنفس الانسانية ، فهو لغرارته يحسب أن الحياة على مثل واحد يرتضيه ، وأن النفس على خلة واحدة يحمدها ، فاذا فطن إلى تقلب النفوس وتذبذبها وقلة استقرارها وجمعها بين الاضداد ، وإذا راعه كل ذلك بسبب غدر صديق أو جفاء جليس أو عبث عشير أو شر رفيق أو كيد أليف أو بغض حبيب كاد ينفطر قلبه أو كادت تنهار دنياه ، ولكن أكثر الشبان يستطيعون إذا طال بهم العمر ومد لهم فيه أن يوفقوا بين الحياة وبين مثلهم الأعلى ، أو تطغى الحياة وما تدعو اليه على مثلهم الأعلى فتمحوه ويصير كل منهم فى مودته مثل مقياس الحرارة (الترمومتر) ، فتارة ترتفع مودته إلى درجة الغليان ، وتارة تنخفض إلى ماهو تحت الصفر من درجات البرودة . وقس على المودة غيرها من الاحساسات

وإنما تصلح الحياة وترق وتحلو إذا لم يمح تذبذب النفوس المُثُل العليا منها . وخير خطة للمرء ألا يحزنه تقلب النفوس واختلاط خلال النفس ، وألا يدع هذا الاختلاط والتذبذب يطغيان على كل شعور نبيل ، فيجمع بين الاطمئنان ونشدان المُثُل العليا إذا استطاع ذلك

عبد الرحمن شكرى

فى حضرة الأمير فؤاد

جلالة الملك الراحل

للأستاذ عبد القادر المغربى

عضو مجمع اللغة العربية الملكى

لم يتح لى شرف المثول بين يدى جلالة الملك فؤاد الأول وأنا عضو فى مجمع اللغة العربية الملكى، وإنما أتيح لى ذلك وهو أمير وأنا محرر فى جريدة (المؤيد) سنة ١٩٠٧ م

كتبتُ فى هذه السنة عدّة مقالاتٍ فى الدين والأدب والأخلاق والاجتماع الاسلامى؛ وكان مما كتبته سلسلة مقالات بعنوان (حمامة الأزهر)، فكنتُ أروى عن تلك الحمامة — مستمداً من وداعتها ونزاهتها — وصفاً دقيقاً لأحوال الأزهر وأخلاق علمائه ومشارب طلابه وما يقع فيه يوماً فيوماً من خير يمتدح أو شر يجتنب

واتفق يومئذ حدوث ما حدث بين السّيد على المرصفى ومشيخة الأزهر. وكان السيد يقرأ من كتب الأدب (كاملَ المبرد). وللحجاج فيه كلمة نابية لا تكاد تذكر حتى يتبرأ منها المسلم. فَنَقَلَ بعض الوُشاة إلى المشيخة خَبَرَ ورود هذه الكلمة فى درس الأستاذ (المرصفى). فأكبرتْ أمرها. ودعت الأستاذ إليها وناقشته فى اختياره لهذا الكتاب من بين كُتُب الأدب الكثيرة، وفيه تلك الكلمة. ثم أبَتْ المشيخة عليه إلا أن يقرأ مقامات الحريرى، وأبى هو إلا أن يهجر الأزهر ويعكف على القراءة فى داره فى باب الشعرية، وهكذا وقع

على أثر ذلك زارنى فى إدارة تحرير (المؤيد) ثلاثة من مجاورى الأزهر الذين لم ينفضوا من حول شيخهم المرصفى. وقد ألفت بينهم حرّية فى الفكر، وصراحة فى الرأى، ونفوس وثابة إلى التجديد: فكانوا فى تاريخنا الحديث أشبه بجمعية إخوان الصفا فى تاريخنا القديم

وهم الأساتذة: طه حسين، والزيات (صاحب هذه الرسالة)، والزناتى

فأنستُ بهم وسررت بزيارتهم

وقد وصف لى الأستاذ طه حادثة أستاذهم المرصفى مع مشيخة الأزهر وعجّبنى أشدّ العجب من موقف المشيخة إزاء هذا الحادث. ثم رغب إلىّ أن أستنطق (حمامة الأزهر) فهى تملى علىّ الخبر بأتمّ ممّا أملاه هو وأن أنشر ما تقوله فى (المؤيد)

فقلت له — وأنا آسف واجم: إن الشيخ على يوسف دعانى اليه بالأمس وقال لى: إن سمو الخديو (عباساً) قال له: قل للشيخ المغربى ليدع (حمامة الأزهر) وشأنها، ولا يرو منْ بعد الآن فى (المؤيد) خبراً عنها

ولما أردت أن أناقش صاحب المؤيد فى ذلك قطع على حبل المناقشة بلهجة البات الجازم. وقد بين السبب فى هذا البت بأن الخديو قال له: إن شيوخ الأزهر أنفسهم كلموه فى هذه القضية فوعدهم خيراً، فلم يبق مناص من امتثال أمره

ثم قلت للاخوان الثلاثة: هذا ما جرى، وكنت أحب أن يصلنى خبر حادثتكم هذه قبل ما بلغت من أمر الخديو فيكون للحمامة إذ ذاك شأن فى وصف الحادثة والتعليق عليها. وما يدرينا أن يكون الشيوخ الذين كلموا الخديو فى الأمر إنما حسبوا حساب (الحمامة) التى اشتهرت بصدق روايتها، وإخلاصها فى نصيحتها، فلجأوا إلى الخديو. وبهذه الصورة قطعوا عليها طريق الكلام فى الحادثة

ثم أفضتُ مع (إخوان الصفا) فى أحاديث أخر. حتى وصلنا إلى ذكر ما أنشره فى (المؤيد) من مقالات (أمالى أدب) فأنشدنى الأستاذ طه القصيدة التى اشتهرت باسم (اليتيمة) ومطلعها:

(هل بالطلول لسائلٍ ردٌّ أم هل لها بتكلمٍ عهدُ)

وكنت نشرت فى (أمالىّ) أبياتاً من تلك القصيدة. فقال الأستاذ (طه) إن معظم القصيدة موجود فى مجموعة رسائل مخطوطة فى دار الكتب المصرية.. وفى ثانى يوم أرسلها إلى بخط

بعض إخوانه ، وبقيت عندى حتى غلبنى عليها أحد الأصدقاء قبل بضع سنين

وفى تلك الأثناء زارنى صديقى الأستاذ (محمد الهراوى) وقال لى : يحسن أن تزور معالى (حسين رشدى باشا) . وكان مديراً للأوقاف العمومية فى ذلك العهد . ولم أكن اجتمعت به من قبل ، أما الهراوى فقد كان على اتصال به

فزرناه فى دار سكنه فى (المنيرة) وهى الدار التى آلت ملكيتها بعد ذلك إلى الشيخ على يوسف

ولما دنونا من بابها رأينا عربة فخمة يقودها فرسان مطهمان . فقال لى رفيقى : يظهر أن أحد أمراء العائلة الخديوية فى زيارة الباشا

وهكذا كان : فاننا لم نكد نطأ البساط حتى خاطبنا الباشا مشيراً إلى صدر المجلس حيث زائره الكريم — قائلاً :

سمو البرنس فؤاد

فدنونا وسلمنا . ولم نكد نأخذ مجالسنا حتى التفت الباشا إلى الأمير وجعل يكلمه بالفرنسية . وكان فى خلال الحديث يلتفت إلى ، فعلمت أنه إنما يقدمنى إلى سموه ، وبالطبع يكون قد قال له : إننى عالم سورى وأننى أحرر فى (المؤيد) رسائل حمامة الأزهر ، وأننى أسلك فى نقد العادات والأخلاق وطرائق التعليم الدينية الأزهرية مسلك المرحوم الشيخ محمد عبده . عرفت هذا من قول صاحب السمو للباشا بالفرنسية :

سل الشيخ ما هو رأيه فى الكرة الأرضية ؟ هل هى حقيقة محمولة على قرن ثور كما يقولون ؟

فكان لهذا السؤال وميض من الابتسام على شفاهنا جميعاً وشعرنا بشيء من الأنس والانبساط أفاضته علينا كلمة صاحب السمو بعد انقباض الاحتشام الذى غشينا من مهابته

فقلت للباشا قل لأميرنا المحبوب : إنه لولا الثور (أبيس) وبقية ثيران الدنيا التى كان يمثلها ذلك الثور فى هيا كل مصر — لما وجد فى الدنيا إنتاج زراعى ، ولما قام عمران فى العالم . فلا جرم أن كانت الدنيا القديمة محمولةً على قرن الثور وحده وأن يكون أهلها عيالاً عليه : فهو الذى (يحمل) عبء الاهتمام بأمرهم ، والسعى فى تموينهم ، وتدبير الأقوات لهم

ففكرة حمل الدنيا على قرن الثور إذن فكرة شعرية خيالية سرت إلينا من المصريين القدماء بشكل جدىّ واقعى

فبرقت أسارير صاحب السمو من هذا الجواب . ثم أبدى أسفه الشديد لكثرة ما تسرب إلى الدين الاسلامى من تقاليد الأمم القديمة ومزاعمها ، حتى أصبحت تلك المزاعم كأنها جزء من تعاليم الاسلام . ثم ذكر لنا سموه أمراً استغربه جداً : وهو أن بعض علماء مراكش وَفَدَ على القاهرة فسأله بعض من سلمٍ عليه من زملائه عما إذا كان سفره من المغرب الأقصى إلى القطر المصرى كان بطريق البر أو البحر . وقال سموه : إن العزلة التى تجعل صاحبها يجهل أبسط شأن من شؤون عصره لهى عزلة ضارة تجب مقاومتها والخروج من ظلمتها

وقد كان كلام سموّه يشفُّ عن مبلغ غيرته على الاسلام ، وحرصه على تصفية علومه ، وعلى الأزهر وحرصه على ترقية شؤونه

رحم الله فقيدنا العظيم رحمة واسعة ، وجعل لنا من ابنه جلالة (فاروق الأول) خليفةً صالحا يكشف الغمّة ويجمع كلمة الأمّة

(دمشق) المغربى

النقـــد الأدبي

بقلم السيد عبد القادر صالح

بحث صاحب « الرسالة » الغراء فى عددها الأسبق تهافت الأدباء الناشئين على النقد الأدبي ولما يأخذوا له عدته

ولم يَعْدُ الحق فيما سرده من العلل لتلك الظاهرة القوية بين كثير من ناشئتنا ، لأن منزلة الناقد الحق منزلة رفيعة تحتاج إلى سعة اطلاع ، وسلامة ذوق ، وصراحة من غير ما قسوة أو غرض

ذكرني مقال الأستاذ فى « النقد المزيف » بقصيدة مشهورة لشاعر انكليزي نقادة اسمه (بوب) عاش فى القرن الثامن عشر . ويتبوأ هذا الشاعر فى الأدب الانكليزي مكانة « أبي الطيب المتنبي » فى الأدب العربي من بعض الوجوه . كلاهما كان أمير الشعر فى عصره ، وكلاهما كان يعتز برفعة نفسه وعدم امتهانها ، وكلاهما كان متين الأسلوب ، وأشعار كل منهما أصبحت أمثالاً سائرة

وتلك القصيدة التى أشرت اليها آنفاً ، والتى سأحاول أن أنقل لقراء « الرسالة » الذين لم يدرسوا بوب بعض آراء هذا الشاعر الواردة فيها ، هى : « مقال فى النقد » نشرت والشاعر فى الثالثة والعشرين من عمره ؛ ويظن أنه نظمها قبل نشرها بسنتين ، يستهلها بقوله :

« يتعذر على المرء أن يقول : أى الرجلين تنقصه المهارة أكثر : السيء النقد أم السيء الكتابة ؟ على أن ما يستنفد صبرك أقل خطراً مما يضلك

أحكامنا كساعاتنا ، قل أن يتفق منها اثنان . غير أن كلاً منا يعتقد أن رأيه هو الأصوب

يندر وجود العبقرية الحق فى الشعراء ، كما يندر وجود الذوق السليم فى الناقد . كل من الناقد والشاعر يجب أن يكون مطبوعاً . هذا خلق ليكون ناقداً وذاك ليكون شاعراً

قلة معارف البعض تفسد مؤهلاتهم البسيطة . فاذا ما أخفقوا فى الكتابة انقلبوا نقدة ليدرأوا عن أنفسهم أثر الخيبة

العلم الناقص شديد الخطر ، فاما أن تتبحر فى العلم وإما ألا ترد مناهله . لأن الاغتراف البسيط يسكر ، ولا يعيد الرشد إلا الامعان فى الطلب

قبل أن تتعرض للنقد يجب أن تتأكد من نفسك أولاً ، وأن تعرف مدى ما لديك من المعرفة والعبقرية والذوق السليم .

الكبرياء من أقوى الأسباب التى تحول بين المرء ورؤية الحقائق . ومن شأن الطبيعة أن تزيد فى كبرياء المرء بمقدار ما ينقصه من المقدرة

فى البدء يخيل إلى الشاب المتحمس أنه بمعلوماته البسيطة بلغ ذروة الفن ، ولكنه كلما أمعن فى طلب العلم بدا له نقص أوضح . كالمصعد فى جبال الالب يتراءى له فى بدء تصعيده أنه يدنو من الذروة العليا ، فاذا ما استمر فى تصعيده بدت لعينيه ذرى تعلوها ذرى

الناقد الكامل يقرأ الكتاب بنفس الروح التى كتب بها المؤلف . ينظر للكتاب ككل ، فلا يجعل همه اكتشاف الغلطات التافهة . وهل يُحكم على جمال شخص بجمال العين أو الشفة على انفراد ؟

بعض النقدة همهم اللغة . يعجبهم من الكتب ما يعجب النساء من الرجال : حسن الثياب

سلاسة الاسلوب ليست وليدة المصادفة ، وإنما هى ثمرة الفن . جرس الكلمة يجب أن يكون صدى لمعناها

بعض النقدة ينتقد أسماء المؤلفين لا مؤلفاتهم ، فيمتدح أو يذم الشخص لا كتابه . والبعض الآخر يمتدح القديم لأنه قديم ، أو الجديد لأنه جديد . فلا تكن أول من يجرب الجديد ولا آخر من يتخلى عن القديم

وهنالك من يمتدح فى أول النهار ما يذمه فى آخره ؛ وإذا سألته عن السبب أجابك : « أنا الآن أعقل منى فى الصباح . » ولا ريب أنه سيكون فى الغد أعقل منه الآن

والبعض إنما يقدر من كان من رأيه أو حزبه ، فيتخذ من نفسه مقياساً للنقد عاماً

لا يكفى أن يجتمع فى الناقد الذوق والمعرفة وإصابة الرأى ، بل يجب أن ينضم إلى هذه الصفات الحق والصراحة

(البقية فى ذيل الصفحة التالية)

من الموضوعات التى نالت الجائزة فى المباراة الأدبية

التربية الوطنية الاستقلالية
وأثرها فى بناء الأمة
للأستاذ محمد عبد البارى

تتمــــــة

وجملة القول هنا أنه لا بد من الشجاعة والاقدام للنجاح فى هذه الحياة، لأنهما يأبيان على المتحلى بهما الاعتماد على الغير، ويقودانه الى الطموح والسعى والابتكار. وصفتا الشجاعة والاقدام لا تتأصلان إلا بالتربية الأستقلالية التى تبدأ من الطفولة الأولى، وتنمو فى الوسط الحر المستقل وتثبت بالقدوة والمثل

وفى البيئات الحرة المستقلة يقل اعتماد الفرد على الجماعة فتخف أعباؤها. وفيها يشعر كل فرد بحقه وبواجبه فيعمل الواجب، ويطالب بالحق، ويكره الضيم ولا ينام للظلم. وبهذا يفكر الظالمون والمتعسفون كثيرا قبل أن يقترفوا الظلم والعسف، فيقل الاحتكاك وتسرع الجماعة فى طريق البشرية لتحقيق مثل الانسان الأعلى، دون فقدان كثير من قواها فى احتكاك داخلى يوهن عزيمتها، ويفت فى عضدها

ولا شك أن أعمال الحكومة تؤدى كثيراً إلى تدعيم روح الحرية والاستقلال بمراعاة ما ذكر فى النظم والقوانين، وفى كيفية تطبيق رجال القضاء والادارة لهذه القوانين والنظم

فكفالة حرية الرأى تساعد كثيراً على نضوج الفكر ومن ثم على نضوج الحرية الاجتماعيـة وتقضى على الفوضى، ومن الواجب مراعاة هذا لدى التقنين

واختيار القضاة ممن عرفوا بالصلابة فى الحق، والتمكن من القانون، واستنارة الفكر، تعاون الجماعة على ضمان سير العدالة؛ وبذا يشعر الناس بأن لا ضير عليهم ما قاموا بواجبهم فى حدود القانون، فينظم نشاطهم ويكثر انتاجهم

وتحلى رجال الادارة كبارهم وصغارهم بصفات الاستقلال والحرية والشجاعة والاقدام يعمل كثيراً على سير أداة الحكم بلا عوج ولا غرض، فتشيع فى الناس صفات الاباء والشمم، ويعمل الجميع بلا خشية ولا رهبـة ولا احتكاك ولا شقاق، ويقضى على النفرة بين الحكام والمحكومين، ويشعر الجميع بأن بينهم غرضاً مشتركا يقوم كل بواجبه لتحقيقه، فيسهل الوصول إلى الغاية المشتركة بالتعاون والتضافر

الوطنية:

لا بد فى الحياة الاجتماعية أن تقترن التربية الوطنية بالتربية الاستقلالية منـذ الحداثة الأولى. نعم حب الوطن طبيعة يستشعرها الانسان منذ فجر التاريخ بغير تلقين ولا درس، ولكنها مع ذلك من المشاعر التى يجب تعهدها بالترسيخ والتقوية، وحمايتها مما يفسدها من المؤثرات الصناعية

لا عزة فى وطن ذليـل؛ ولا قيمة للجاه الفردى والغنى الفردى فى جماعة تخضع لارادة خارجية؛ والاستقلال الفردى لا يثمر فى أرض تسخر فيها ارادة الأفراد لغير مصلحة بلادهم

ففى مهد الطفولة يمكن تنمية شعور الوطنية بقص قصص الوطنيين الأبرار وتمجيد أعمالهم وإثارة الاعجاب بها. وفى المكتب أو المدرسـة يتغنى الأطفال بحب الوطن ومجده والتفانى فى خدمته، وإذا لم تكن العقول الصغيرة غير المتفتحة تدرك المعانى حق إدراكها فان الذاكرة تختزن الألفاظ لتفيض معانى ملهمة عندما يتسع الادراك وتأتى المناسبات؛ وخيال الطفل القوى

عليك بالصمت التام عندما تكون غير واثق تمام الثقة من صحة رأى. وعليك أن تتواضع إذا كنت متمكناً من رأى، وأن تعترف بأغلاطك

لا يكفى أن يكون نقدك حقاً تقصد به الارشاد، إذ كثر ما سببت الحقائق الجافة أضراراً أبلغ من الأخطاء، لأن الناس يحبون أن يُعلَّموا وهم لا يشعرون أنهم يعلمون، وأن تُذكر لهم الأشياء التى يجهلونها كأنها منسية لا مجهولة

لا تقس فى نقدك ولا تكثر منه. ولكن يجب ألا يسوقك التسامح لاهمال العدل. ولكن أين الرجل الذى يستطيع أن يقدم النصح خالصاً حباً فى الارشاد لا رغبة فى إظهار المعلومات؟»

(نابلس — فلسطين) عبد القادر صالح

يخلق من أبطال قصص والديه تماثيل ذهنية ناطقة تصاحبه ما عاش وتناديه وتناجيه ، تزجره إذا ما حاول العقوق ، وتدفعه إذا ما اعتزم العمل ، وتتوج هامه بأكاليل الفخار إذا ما أجاد شاباً وكهلاً . وما أعجب فعل العقيدة عن ايمان ! !

هذه الصور الخيالية تحفظ الشعور قويا وثابا . فاذا ما نضج الشخص بالتربية العقلية والجسمية والخلقية امتزج العقل بالعاطفة وكان فى الفرد الوطنية الحية الرشيدة ، أقوى أسس الحياة الاجتماعية

دراسة التاريخ بصفة خاصة من أقوى العوامل على تنمية الشعور الفطرى بحب الوطن وتثبيته . فالصور الخيالية التى لزمت الطفل من البيت إلى المدرسة تزداد ثباتاً بدرس التاريخ كما ينبغى . التاريخ القديم والحديث حافلان بأعمال البطولة والشرف ، وفيهما أمثلة لأعمال الدناءة والخيانة . فمن واجب الأبوين والمعلمين عرض صور الشخصيات التاريخية البارزة عرضاً أخاذاً وتمجيد أعمال البر بالوطن والتفانى فى خدمته وتحقير أعمال الخيانة والنذالة والجبن بذا ينشأ الوطنى طموحا إلى المجد ، مشمئزاً من الدناءة ، منكراً لذاته فى سبيل رفعة وطنه

ولا شك فى أن للمثل الصالح هنا كذلك قيمته العظيمة . فسلوك الأبوين والأقارب والمعلمين يفعل فى نفس الطفل العجائب ، بل إن هذا السلوك يؤثر فى الفتيان تأثيراً يخلق النفوس خلقاً آخر . فقيام كل من هؤلاء بواجبه كوطنى يبث فى الناشئين روحا وطنية بلا تلقين أو وعظ ، ويشبون على أن العمل لمجد الوطن واجب الجميع يؤديه الكل سجية . فاذا ما توانوا فيه أو تخاذلوا دونه كان ذلك شذوذاً معيباً وسلوكاً ممقوتاً

للكتب والقصص ، تمثيلية وغير تمثيلية ، قيمة كبيرة فى هذه الناحية من نواحى تربية الفرد . فالتلقين الحكيم الذى يزود به الكاتب قراءه أو مشاهدى روايته لا يقل كثيراً عن المثل والقدوة . يجب أن يكون فى الكتب والقصص ما يكفى للايحاء إلى القراء والنظارة بأن كلا منهم يستطيع أداء حق وطنه عليه باعداد نفسه الاعداد الذى تحتمله ظروفه وطبيعته والذى يمكنه من أداء عمله ، مهما كان نوعه باخلاص وإتقان . وبأنه إذا قام كل فرد باداء عمله كما ينبغى فان الوطن يتقدم ويمتز . وبأن الانسان خلق حراً ، ولكن لا سبيل إلى الاحتفاظ بهذه الحرية إلا إذا كان الوطن قويا بحيث يستطيع رد من يحاول التسلط عليه وفرض إرادته على أبنائه

ومن خير وسائل إعداد الشبان قرن الثقافة ببث روح الطموح فى الشبان وإثارتها فى كل مناسبة ، بل بخلق مناسبات لاثارتها . فالطموح المحب لوطنه يخصص حياته لتحقيق أمثلة عليا فى الحياة تعود حتماً بالخير على بلده . فما الأمة إلا أبناؤها . فاذا كانوا خاملين وقف تقدم البلاد بل تتدهور . وإذا كانوا ذوى أمثلة عليا تقدمت البلد وعز جانبها

ومن سبل ترسيخ الروح الوطنية الاحتفال بالأعياد القومية وانتهاز ما تتيح من فرص لتمجيد أعمال البر بالوطن والتفانى فى خدمته ، وفى كل الطبقات يجب أن تنشأ جماعات يجتمع أعضاؤها يتباحثون ويتناجون فيما يعود على جماعتهم بالخير . وينبغى أن تنشد الأناشيد الوطنية فى مبدأ الاجتماع وفى نهايته لتحية الوطن وإعلان الاخلاص له والتضحية فى سبيله

وهكذا يذكر الوطن فى المنزل وفى المكتب والمدرسة ، وفى الاحتفال بالأعياد القومية ، وفى الاجتماع المتعلق بالشؤون الطائفية . فترسخ فى الجماعة عقيدة « الوطن فوق كل شىء » ويرخص كل شىء فى سبيل الوطن ، يرخص المال والولد ، بل ترخص النفس كلما تطلب مجد الوطن بذلاً فى الحرب والسلم على السواء

وإذا ما غلبت فى جماعة ما روح التربية الاستقلالية ونما فى الأفراد وقوى وثبت الشعور الفطرى بحب الوطن ، وأعد الجميع إعداداً صالحاً ليقوم كل بواجبه على خير وجه ، فلا بد أن تنجح هذه الجماعة فى شق طريقها الى الحياة الانسانية الكريمة ، حياة العزة والشرف ممتعة بنعيم الحرية وبركة الاستقلال الصحيح .

محمد عبد البارى (شبين الكوم)

تصويب

ورد فى المقال الثانى من هذا البحث المنشور فى العدد ١٥٠ ما يأتى :
جاء فى آخر العمود الثانى من صفحة ٨٢٠ (عند) وصوابها عن
» » » الأول حرف a بدل s فى كلمة Syndicalism
» » » الثانى كلمة تغيير بدل تبصير

من أدبنا المجهول — شاعر يرثى ولده بديوانه

اقتراح القريح واجتراح الجريح

لأبى الحسن على الحصرى

[للأستاذ الزيات عزاء وسلوة]

للأديب السيد أحمد صقر

— ٢ —

الحصرى المجهول : هناك بين طيات القرون الغابرة ، ثبت ضخم حافل بكثير من نوابغ الأدباء ، وعباقرة الشعراء ذوى الجد العاثر والطالع النكد ، الذين جار عليهم الزمان فطوى ذكرهم وطمر تراثهم . ولو عنى الناس بأمر هؤلاء المحدودين ، وبعثوهم من مراقدهم ونشروا آثارهم ، لكان للأدب من ذلك ثروة طائلة

من هؤلاء الشعراء المجهولين أبو الحسن على بن عبد الغنى الفهرى الحصرى القيروانى الضرير ، صاحب كتاب « اقتراح القريح واجتراح الجريح » . والحصرى — بضم الحاء وإسكان الصاد — نسبة إلى عمل الحصر أو بيعها

ويشترك مع أبى الحسن هذا فى لقبه شاعر معاصر آخر ، كانت بينه وبينه وشيجة نسب ، أعنى به ابن خالته الأستاذ « ابراهيم الحصرى » صاحب كتاب « زهر الآداب » المتوفى سنة ٤٥٣ من الهجرة (١٠٦١ م)

وقد اشتبه أمرهما على كثير من الناس فحسبوا ذاك هذا ، ونسبوا آثار هــذا لذاك ! وأرخوا لأحدهما بتأريخ الآخر ، ولكن الأمر لم يشتبه على الراسخين فى العلم ، فوضعوا الحق فى نصابه

اكتنف الغموض حياة أبى الحسن الحصرى من كل ناحية ، فلسنا نعرف نشأته ولا ثقافته ، وليس فيما بين أيدينا من المصادر ترجمة دقيقة شاملة نعتمد عليها فى تأريخنا له ، وكل ما وجدناه نتف متشابهة ، وشذرات مقتضبة ، لا تجدى نفعاً ؛ وقد أحببت أن أنقلها للقراء علها تلقى شيئاً — ولو ضئيلاً — من الضياء على حياة ذلك الشاعر العبقرى ، وترسم صورة — ولو شاحبة — لذلك الأديب المجهول

١ — ذكره ابن بسام فى ذخيرته ، فقال : « كان بحر براعة ، ورأس صناعة ، وزعيم جماعة ، طرأ على جزيرة الأندلس منتصف المائة الخامسة من الهجرة بعد خراب وطنه من القيروان ، والأدب يومئذ بأفقنا نافق السوق ، معمور الطريق ، فتهادته ملوك طوائفها تهادى الرياض بالنسيم ، وتنافسوا فيه تنافس الدار فى الأنس بالمقيم ؛ على أنه كان فيما بلغنى ضيق العطن ، مشهور اللسن ، يتلفت إلى الهجاء ، تلفت الظمآن إلى الماء ، ولكنه طُوِى على غَرِّه ، واحتمل بين زمانه وبُعْدَ قطره ، ولما خلع ملوك الطوائف بأفقنا ، اشتملت عليه مدينة طنجة ، وقد ضاق ذرعه وتراجع طبعه ... »(١)

٢ — وذكره ابن بشكوال فى الصلة فقال : « على بن عبد الغنى الفهرى المقرى الحصرى القيروانى يكنى أبا الحسن ، ذكره الحميدى وقال : شاعر أديب ، رخيم الشعر ، دخل الأندلس ولقى ملوكها ، وشعره كثير ، وأدبه موفور ، وكان عالماً بالقراءات وطرقها ، وأقرأ الناس القرآن بسبتة وغيرها . أخبرنا عنه أبو القاسم بن صواب بقصيدته التى نظمها فى قراءة نافع ، وهى مائتا بيت وتسعة أبيات قال لقيه بمرسية سنة ٤٨١ ﻫ وتوفى بطنجة سنة ٤٨٨ ﻫ »(٢) الموافقة لسنة (١٠٩٥) ميلادية

٣ — وذكره ابن خلكان فى وفيات الأعيان ، فأورد قول ابن بسام ثم قال : « قلت وهذا أبو الحسن ابن خالة أبى اسحاق الحصرى صاحب زهر الآداب » ونقل كلام ابن بشكوال والحميدى ثم قال : « وله ديوان شعر . فمن قصائده السائرة قصيدته التى أولها :

يا ليل الصب متى غده أقيام الساعة موعده ؟
رقد السمار وأرقه أسف للبين يردده

إلى أن قال : وحكى تاج العلاء أبو زيد المعروف بالنسابة قال : حدثنى أبو أصبغ نباتة بن الأصبغ بن زيد بن محمد الحارثى عن جده زيد بن محمد قال : بعث المعتمد بن عباد صاحب أشبيلية إلى أبى العرب الزبيدى خمسمائة دينار وأمره بأن يتجهز بها ويتوجه اليه

(١) وفيات الأعيان ج ١ س ٣٤٢
(٢) صفحة ٤٢٥ من المجلد الثانى طبع مجريط ١٨٨٣ م

وكان بجزيرة صقلية ، وبعث مثلها الى أبى الحسن الحصرى وهو بالقيروان فكتب اليه أبو العرب :

لا تعجبن لرأسى كيف شاب أسى
واعجب لأسود عينى كيف لم يشب
البحر للروم لا يجرى السفين به
إلا على غرر والبر للعرب

وكتب اليه الحصرى :

أمرتنى بركوب البحر أقطعه
غيرى - لك الخير - فاخصصه بذا الداء
ما أنت نوح فتنجينى سفينته
ولا المسيح أنا أمشى على الماء

ثم دخل الأندلس بعد ذلك وامتدح المعتمد وغيره ، وتوفى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة بطنجة رحمه الله تعالى (١)

٤ — وذكره ابن العماد الحنبلى فى كتاب شذرات الذهب فى أخبار من ذهب عند كلامه على حوادث سنة ٤٨٨ هـ فقال : فيها أبو الحسن الحصرى المقرىء الشاعر نزيل سبتة - على بن عبد الغنى الفهرى . كان مقرئاً محققا ، وشاعراً مفلقاً ، مدح ملوكا ووزراء ، وكان ضريرا . ثم نقل قول ابن بسام المتقدم وعقبه بقول ابن خلكان ، ثم قال وله أيضاً :

أقول له وقد حيا بكأس
لها من مسك ريقته ختام
أمن خديك تعصر ؟ قال كلا
متى عصرت من الورد المدام (٢)

ولما كان بمدينة طنجة أرسل غلامه الى المعتمد بن عباد صاحب أشبيلية - واسمها فى بلادهم حمص - فأبطأ عنه وبلغه أنه ما احتفل به فقال :

نبه الركب الهجوعا
ولم الدهر الفجوعا
حمص الجنة قالت
لغلامى لا رجوعا
رحم الله غلامى
مات فى الجنة جوعا

وقد التزم فى هذه الأبيات لزوم مالا يلزم رحمه الله تعالى (٣)

٥ — وذكره الصلاح الصفدى فى كتابه نكت الهميان وكل ما أتى به منقول عن ابن خلكان وابن بشكوال ، وزاد عليهما فذكر البيتين اللذين ذكرهما ابن العماد . أقول له وقد حيا بكأس (١)

٦ — وذكره ابن الجزرى فى كتابه غاية النهاية فقال : « على ابن عبد الغنى أبو الحسن الفهرى القيروانى الحصرى أستاذ ماهر ، أديب حاذق ، صاحب القصيدة الرائية فى قراءة نافع ، وناظم السؤال الدالى ملغزا : سألتكم يا مقرئى الغرب كله

وهى فى سواءت أجابه عنه الشاطبى ومن بعده

قرأ على « عبد العزيز بن محمد » صاحب أبى سفيان ، وعلى « أبى على بن حمدون الجلولى (٢) » والشيخ « أبى بكر القصرى » وروى عنه « أبو القاسم بن الصواف » قصيدته ، وأقرأ الناس بسبتة وغيرها . توفى بطنجة سنة ثمان وستين وأربعمائة . ثم نقل قول ابن خلكان فى وفيات الأعيان (٣) » ، وقول ابن الجزرى إن الحصرى الأعمى توفى سنة ٤٦٨ هـ قول لم يشاركه فيه غيره من المؤرخين ، ولعله وهم أو تحريف من الناسخين

٧ — وذكره العماد الكاتب فى كتاب خريدة القصر . وجريدة أهل العصر ، فقال : الحصرى الأعمى الربنى : هو أبو الحسن على بن عبد الغنى من الأندلس (!) صاحب تصنيفات واحسان فى النظم ، قال فى غلام اسمه هارون :

يا غزالا فتن النـ
ـاس بعينيه فتونا
أنت هاروت ولكن
صحفوا تاءك نونا

وقال يهجو أبا العرب الصقلى :

معجب كالمتنبى
وهو لا يحسن شيا
إن هذا يحيوى
أوتى العلم صبيا

وقال :

كم من أخ قد كان عندى شهدة
حتى بلوت المر من أخلاقه
كالملح يحسب سكراً فى لونه
ومجسه ويحول عند مذاقه

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٤٣
(٢) يذكرنى هذا البيت بقول المرحوم حافظ بك ابراهيم فى وصف الصهباء :
خمرة قيل إنهم عصروها من خدود الملاح فى يوم عرس
(٣) شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٨٥

(١) انظر نكت الهميان فى نكت العميان ص ٢١٣
(٢) هو محمد بن حمدون أبو الحسن الواسطى الحذاء ، وهم فيه صاحب التجريد فسماه علياً ، ووهم فيه الهذلى فسماه عبدالله . كان من أهل الثقة والأتقان والضبط توفى سنة عشر وثلثمائة أو فى التى بعدها ...
(٣) راجع غاية النهاية فى طبقات القراء ج ١ ص ٥٥١

وقال يرثى المعتضد أبا المعتمد :

مات عبـاد ولكن بقى الفرع الكريم
فكأن الميت حى غير أن الضاد ميم

وقال : أقول له وقد حيا الخ البيتين

وقال :

وشاعر من شعراء الزمان يفخر عندى بالمعانى الحسان
وإنما أطيب أشعاره نصف خراسان والقيروان (؟)

وقال :

إذا كان البياض لباس حزن بأندلس فذاك من الصواب

وقال :

مما يبغضنى فى أرض أندلس سماع معتصم فيها ومعتضد
أسماء مملكة فى غير موضعها

كالهر يحكى انتفاخاً صولة الأسد[1]

وقوله اذا كان البياض الخ ذكره المقرى فى نفح الطيب وزاد عليه قوله :

ألم ترنى لبست بياض شيبى لأنى قد حزنت على شبابى

وذكر أيضاً أن من عادة أهل الأندلس لبس البياض فى الحزن بخلاف أهل المشرق . وذكر لبعضهم أبياتاً فى ذلك[2]

ألا يا أهل أندلس فطنتم بلطفكم إلى أمر عجيب
لبستم فى مآتمكم بياضاً فجئتم منه فى زى غريب
صدقتم فالبياض لباس حزن ولا حزن أشد من المشيب

٨ — وذكره المراكشى عرضاً عند كلامه على نزول المعتمد مدينة طنجة قال : « فأقام بها أياماً ولقيه الحصرى الشاعر فجرى معه على سوء عادته من قبح الكدية ، وإفراط الألحاف ، فرفع إليه أشعاراً قديمة كان مدحه بها ، وأضاف الى ذلك قصيدة استجدها عند وصوله اليه ، ولم يكن عند المعتمد فى ذلك اليوم مما زود به — فيما بلغنى — أكثر من ستة وثلاثين مثقالا ، فطبع عليها وكتب معها بقطعة شعر يعتذر من قلتها ، سقطت من حفظى ، ووجه بها اليه فلم يجاوبه عن القطعة على سهولة الشعر على خاطره ، وخفته عليه . وكان هذا الرجل — أعنى الحصرى الأعمى — أسرع الناس فى الشعر خاطراً إلا أنه كان قليل الجيد منه ، فحركه المعتمد على الله على الجواب بقطعة أولها :

قل لمن قد جمع العلـ ـم وما أحصى صوابه
كان فى الصرة شعر فتنظرنا جـــوابه
قـد أثبناك فهلا جلب الشعر ثوابه

ولما اتصل بزعانفة الشعراء وملحقى أهل الكدية ما صنع المعتمد — رحمه الله — مع الحصرى تعرضوا له بكل طريق ، وقصدوه من كل فج عميق ، فقال فى ذلك رحمه الله :

شعراء طنجة كلهم والمغرب ذهبوا من الأغراب أبعد مذهب
سألوا العسير من الأسير وإنه بسؤالهم لأحق فاعجب واعجب
لولا الحياء وعزة لخمية طى الحشا ساواهم فى المطلب[1]

هذه هى كل النتف والشذرات التى عثرت عليها فى كتب التراجم لذلك العهد السحيق . وكل هذه التراجم — إن صحت تسميتها بذلك — لا تكشف لنا عن حياة الشاعر ، ولا تبين مقدار قوة شاعريته أو ضعفها ، ولا توضح أثره فى الأدب ، ولا تتناول أدبه بالنقد والتحليل . والذى يستوقفنى منها بصفة خاصة قول المراكشى : « كان هذا الرجل أسرع الناس خاطراً فى الشعر » وقول ابن بشكوال نقلا عن الحميدى « إن شعره كثير ، وأدبه موفور » ، فأين ذلك الأدب الموفور والشعر الكثير الذى واتاه به طبعه الدافق فى يسر وسهولة ؟ أين قصائده فى الهجاء الذى « كان يتلفت اليه تلفت الظمآن الى الماء ؟ » أين قلائده التى قلد بها ملوك الطوائف حتى تهادته تهادى الرياض بالنسيم ، وتنافسوا فيه تنافس الديار فى الأنس بالقيم ؟ أين خرائده فى الوزراء الذين أغدقوا عليه النعم ؟ أين أين ذلك الشعر الرخيم ؟ ؟ لقد غمره طوفان الفناء فيما غمر ، ولم يبق له جرس ولا أثر ، والمسؤول عن ذلك هو الحصرى نفسه فهو الذى أهمل ولم يحسب لذلك الطوفان حساباً ، ولم يدون من شعره غير كتاب اقتراح القريح واجتراح الجريح . ولدينا مجموعة صغيرة من شعره فى الغزل والنسيب اسمها « معشرات الحصرى » سنتكلم عنها بعد أن نروى لك كثيراً من شعره فى اقتراح القريح . . .

أحمد صقر

(١) أنظر الخريدة ص ٢٣ من النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٥ ؛ أدب

(٢) نفح الطيب ج ٢ ص ٩٠٦ طبع بولاق .

(١) انظر المعجب ص ٢٧ طبع مصر

الأدب بين الخاصة والعامة

لامرتين ورينيه جارد

للسيد اسكندر كرباج

(تتمة)

ثم يقول لامرتين : نبّه فيّ هذا الحوار فكرة وضع قصص شعبية إجابة لرغبة تلك الفتاة الكريمة . لقد عشت طويلاً فى الأكواخ والحقول والثكنات وعلى ظهر البواخر وفى أعالى الجبال ، وعاشرت العمّال والمزارعين والجنود والنوتية والرعاة والخدم الذين يؤلفون قسماً من عيالنا ؛ وتحدثت إلى هذه العقليات الساذجة الصالحة ، وخبرت عاداتها وميولها ولغاتها أكثر مما خبرت عادات رجال المجالس وميولهم ولغاتهم ؛ وكنت شاهداً بل أميناً لأسرار حياة ثمانى شخصيات خاملة ولكنها حافلة بنوب وآلام خفية إذا دوّنت بسذاجة كما رُويت كانت قصائد حقيقية طافحة بالشعور والاحساس ؛ وأعرف الأماكن والحوادث والأشخاص معرفة تامة ، فسأحاول كتابة هذه القصص ونشرها أجزاء متتابعة دون أقلّ اهتمام بفخامة الطبع والورق أو طرافة الأسلوب وإناقة الجمل وشحذ القريحة وكدّ الذهن ، لأن الطبيعة هى روح هذا النوع من الأدب ، والطبقات الوضيعة أقدر على إدراكها والاستلهام بها من الطبقات العالية ؛ فاذا وجدتها فى هذه الرسوم العارية من زخارف الفنّ استراقتها واستزادت منها . عندئذٍ تتقدّم أيدٍ أجد من يدىّ وأبرع لوضعها بصورة أفضل ، لأن الأدب الشعبى لا يكتمل إلاّ بالمؤلفات العاطفية التى هى من مميزات الطبقات الجاهلة ، وإنجيل العاطفة كانجيل الدين يجب أن يُبشّر به أولاً بين البسطاء بلغة سليمة كقلب الطفل

وأراد لامرتين أن يطلع رينيه على آرائه فيما يتعلّق بكتابة التاريخ الشعبى فقال لها : لا يزال رجال السلطة يمالئون الشعب ويتوددون اليه لاعتقادهم أنه مصدر القوة التى يجب أن يعتمدوها فى اسقاط الحكومات وابتلاع الوطنيات ، فيستغوونه بشتى الوسائل ، ويثملونه بقولهم إن قوته تولد الحق ، وارادته العدل ، ومجده يكتسب عفو التاريخ ، وانتصار قضيته يبرر كل الوسائط ، حتى الجرائم تخف أمام عظمة النتائج ، فيؤمن بهم ويتبعهم ويساعدهم بقواه المادية ، وبعد أن يتوصلوا بقوة سواعده وإهدار دمه وارتكاب جرائمه إلى اسقاط الطغاة وإثارة أوربا يصرفونه ويأمرونه بالعمل والصمت !

هذه هى الطريقة التى سلكوها إلى الآن فى معاملة الشعب وكانت سبباً لانتشار شوائب البلاط بينه واستلذاذه التملق .

ليس هذا ما نريده للشعب ؛ نريد أن يقابلنا واقفاً ، ويخاطبنا وجهاً لوجه ، فهو كسائر عناصر الأمة لا يقل قيمة عنها ولا يزيد ؛ وإذا كان قد تعوّد الكذب والمالأة ، ففيه خلتان كبيرتان لايجوز نسيانهما ، هما الصراحة والجرأة . لذلك هو يعرف أن يحترم مقاوميه ويحتقر متخوفيه . فى الحيوانات مالا يفترس إلا من يهرب من أمامه ، والشعب كالأسد يجب ألا يجابه إلا من الأمام

يقوم التاريخ الشعبى على واحدة من هذه القواعد الأساسية الثلاث : المجد ، والوطنية ، والمدنية . فالمجد لا يرضى إلا أمة حربية تبهرها القوة فتعمى عن رؤية الحق ؛ والوطنيـة تضرم نار الحمية فى الشعب فيطوح بنفسه فى مهاوى الأثرة والطموح

أما المدنية المستدعة فهى الأصلح لقيادة الفكر البشرى بين شعاب الشك وبلبلة الآراء والأهواء والاثرة الفردية أو الوطنية ، ولافهامه أن المجد والوطنية لا ينفعان الأمة والنوع البشرى إذا فصلا عن الأدب العام ، لأن المجد لا يقاوم الصلاح ، والوطنية ليست عدوّة الانسانية ، والفوز لا يمكن أن يكون خصما للعدالة ، وأن التاريخ ليس هذا المزيج من الأفراد والأشياء المشوشة ، بل هو خطوة إلى الأمام فى طريق الدهور ، إذ لكل أمة شأنها وعملها العظيم ، ولكل طبقة اجتماعية أهميتها فى نظر الله . وفضلاً عن ذلك فقيام التاريخ على هذه القاعدة يعلم الشعب أن يحترم نفسه ، ويعرف مقدار قوته ونفعه ، وأنه فوق الأمبراطورية والسلطة ، وأن هذه تكون كما يريد ، فاذا وجد شعباً يشكو من حكومته فهو دليل على أنه لا يستحق غيرها ، هكذا كان تاسيت يفتكر فى زمانه ، ولا تزال فكرته تجرى مجرى الأمثال إلى اليوم

واعتزامى كتابة التاريخ على هذه القاعدة نبّه فىّ فكرة قديمة كنت عرضتها على الحكومة فلم تصادف القبول ، لأنها ليست آلة للحرب والتدمير بل للسلم والبناء . وهذه الفكرة هى أن حرية الصحافة وديموقراطية الحكومة وحركة الصناعة وانتشار التعليم فى كل قرى البلاد وبين كل طبقات الشعب أثار الأذهان ورغّب فى المطالعة ، وبعد أن أوجدوا فى الشعب هذا الميل إلى القراءة فما هى المؤلفات التى وضعوها له ؟ لا شىء !

إن لأبناء الطبقات الغنيّة كثيراً من المدارس العالية حيث يسمعون شروح كبار الأساتذة فى كل أنواع العلوم والفنون ،

وإذا لم تكفهم المدارس فعندهم المكاتب الكبيرة والصحف التي تحمل بين دفاتها ما يغذّي العقل والفكر والروح من المواضيع الشائقة . أما أبناء الطبقات الفقيرة العاملة ومنهم الجيوش والبحّارة والرعاة والشيوخ والنساء والأولاد فكل ما عندهم لتثقيف عقولهم وتسلية نفوسهم في أوقات الفراغ هو التعليم المسيحي وبعض الأناشيد المشوهة والقصص السخيفة ، فمن هذه الكتب القليلة التافهة تتألف مكتبة الشعب ومتحفه وفنه !

فأردتُ ملء هذا الفراغ في حياة الشعب الأدبية والعقلية بكتاب لا يقرأ إلا مرة واحدة ، ولكن لا أول له ولا آخر ، وأعني به صحيفة يومية كبرى يتولى تحريرها نخبة من كبار علماء العصر وكتابه وشعرائه ، بلغة سهلة بسيطة ، وتعابير قريبة من أفهامه تطلعه على أهم أخبار الكون اليومية وسياسته وفلسفته وعلومه وفنونه . وتحقيق هذه الفكرة لا يكلف أكثر من مليون فرنك سنوياً يكفي لجمعها أن يكتتب مليون شخص بفرنك واحد في السنة ؛ وإذا كنت لم أحقق هذه الفكرة فلأني لست وحدي هذا المليون ، ولأنه لا توجد في فرنسا حالاً فكرة تساوي فلساً واحداً !

هذه هي فكرتي يا رينيه فيما يختص بالتاريخ والأدب والشعر والعلوم والفنون التي يجب أن تكتب للشعب ؛ ولا أحب إلى الطبقات الفقيرة ولا أجمل وأبلغ من تحقيق هذه الفكرة . ولو أن لي ذكاء الكتاب المعاصرين وشبابهم واندفاعهم لقمت بأعمال عظيمة في عالم الفكر والثقافة ، فأمامنا عالم جديد للاكتشاف لا يتطلب عبور المحيط ككولومبوس ، هو احساس الطبقات العاملة وعقلياتها ، فجغرافية العالم الأدبية لا تكتمل إلا متى اكتشفت هذه القارة الشعبية وملئت بمبادئ بحارة الفكر

فتقول له رينيه : لقد فهمت كل أفكارك يا سيدي على رغم سموها وجمالها

فيجيبها : لم أخاطبك إلا كشاعرة ، والشعب شاعر أيضاً لأنه طفل الطبيعة الفطيم ، والطبيعة كخالقها لا تتكلم إلا بلغة الصور . . .

ثم تودعه رينيه وتودع زوجته شاكرة لهما حسن الضيافة ، وتسافر إلى إكس في مركبة المساء ، وقبل أن تصعد إلى المركبة يقول لها لامرتين : « إذا وضعت بعض القصص الشعبية فاسمحي لي أن أصدر أولاها باسمك »

اسكندر كرباج

من العصبة الأندلسية

للتاريخ السياسي :

٣ ـ اليوم السابع من مارس

ضربة مسرحية في برلين

للدكتور يوسف هيكل

المعاهدة الفرنسية الروسية ولوكارنو

رأينا كيف أن حكومة برلين قد اتخذت المعاهدة الفرنسية الروسية سبباً لرفضها معاهدة لوكارنو واتخاذها قرار ٧ مارس . فهل النظرية الألمانية صحيحة من الوجهة الحقوقية ؟ أي هل المعاهدة الفرنسية الروسية لا تتمشى مع معاهدة لوكارنو ؟ . وقبل الاجابة على هذا السؤال يحسن بنا أن نعرض بايجاز المحادثات الديلوماسية التي أدت إلى عقد هذه المعاهدة :

لم يكن هدف فرنسا بادئ ذي بدء ، إيجاد هذه المعاهدة ، بل كانت الديلوماسية الفرنسية ترمي الى إيجاد « ميثاق شرق » — لوكارنو الشرقية — بين بولونيا والروسيا وألمانيا وتشيكوسلوفاكيا ودول البلطيق وفينلاندا . ولقد تم الاتفاق على هذه الخطة بين فرنسا وانكلترا أثناء المحادثات السياسية التي دارت بينهما خلال ١١ و ١٢ من يوليه ١٩٣٤ . وزيادة على ذلك قررت الدولتان أن تتحمل الروسيا واجبات معاهدة لوكارنو ازاء فرنسا وألمانيا ، وأن تتعهد فرنسا نحو ألمانيا والروسيا ، في حالة اعتداء إحداهما على الأخرى ، بمساعدة المتعدى عليه ، على أن تكون تلك المساعدة ضمن دائرة واجبات عصبة الأمم . وبعبارة أخرى أن تعقد معاهدة ثلاثية دفاعية بين فرنسا وألمانيا والروسيا ، يكون مفعولها سارياً في حالة تعدي احداهن على دولة ثانية داخلة في الميثاق ، على أن تكون الواجبات الناشئة عنها متمشية مع واجبات لوكارنو والعصبة . وقد تعهدت الحكومة البريطانية بأن توصي هذه الدول ولا سيما بولونيا وألمانيا بقبول هذه الاقتراحات . غير أن سعيها قد خاب . وقد أبانت ألمانيا بصراحة بأنها تفضل « المعاهدات الثنائية » — بين اثنين

Pactes bilatéraux — على المعاهدات المشتركة المبنية على «المساعدة المتبادلة» — Assistance mutuelle — وتم الاتفاق فى الاجتماع الفرنسى الانكليزى الذى عقد فى لندن فى ٣ فبراير سنة ١٩٣٥ على انشاء معاهدة لوكارنو الجوية ، وعلى متابعة المفاوضة مع ألمانيا للاتفاق معها على انشاء السلام فى أوروبا بواسطة عقد معاهدات بين دول شرقى أوروبا توجب «المساعدة المتبادلة»

ولما زار السير جون سيمون برلين خلال شهر مارس التالى قدم اليه الهر هتلر معلومات عن المعاهدة الشرقية التى يحبذها مبنية على معاهدات عدم الهجوم الثنائية ، ومضافا اليها التحكيم والمصالحة وعدم مساعدة المعتدى . وقد صرح الهر هتلر بأن حكومته لا تنظر بعين الرضى إلى المعاهدات المبنية على «المساعدة المتبادلة» ولا يمكنها بأى وجه من الوجوه الاشتراك فى أى معاهدة من هذا النوع . وقد أعادت حكومة برلين هذا التصريح بوضوح أثناء انعقاد مؤتمر ستريزا . وعند ما وقفت حكومة باريس على هذا التصريح وتيقنت بأن لا نجاح فى إدماج برلين ضمن نظام سلام قائم على المساعدة المتبادلة رأت أن لا سبب هناك يعوقها عن عقد محالفة بينها وبين روسيا ، لتساعد كل منهما الأخرى حين تعتدى ألمانيا على احداها

وبعد بضعة أيام قابل سفير بريطانيا فى باريس مسيو لافال وأعلمه أن حكومة جلالته ترغب «بألا تمضى فرنسا أى معاهدة يمكن أن ترغمها على محاربة ألمانيا فى ظروف لا يجيزها البند الثانى من معاهدة لوكارنو» فأجابه مسيو لافال بأن «الحكومة الفرنسية وضعت شرطاً أساسياً بأن المعاهدة الفرنسية الروسية يجب أن تكون متمشية ليس فقط مع مبادئ العصبة بل مع معاهدة لوكارنو أيضاً» . وعلى هذا الأساس أُمضِيَت هذه المعاهدة فى ٢ مارس سنة ١٩٣٥ ، وأرسلت إلى البرلمان الفرنسى فوافق عليها

***

وجاء فى خطاب الهر هتلر الذى القاه فى ٢١ مايو أن الحكومة الألمانية «ستقوم بجميع الواجبات الناجمة عن معاهدة لوكارنو مادامت الدول الأخرى المشتركة فى المعاهدة تريد القيام بها» . وتبع هذا الخطاب مذكرة ادعت فيها حكومة برلين أن

المعاهدة الفرنسية الروسية لا تتمشى مع معاهدة لوكارنو

وفى شهر يونيه دحضت الحكومة الفرنسية ادعاءات ألمانيا .

وفى خلال شهر يوليه صرح السير صمويل هور وممثلا إيطاليا وبلجيكا بأنهم متفقون مع الحكومة الفرنسية على أن المعاهدة الفرنسية الروسية تتماشى مع لوكارنو

ولما رأت حكومة برلين أن دول لوكارنو على اتفاق تام ، لم تستطع القيام إذ ذاك بأى عمل لتمزيق المعاهدة ، بل أجلته إلى حين آخر ، واكتفت بارسال مذكرة إلى السير صمويل هور تقول فيها «بأنه ستكون مناسبات كافية لمناقشة هذه المسألة مع المفاوضات الأخرى المعلقة»

ولما وقع الخلاف بين دول لوكارنو من جراء اعتداء إيطاليا على الحبشة ، وانشغلت فرنسا بانتخابات مجلس النواب ؛ رأى الهر هتلر أن الفرصة سانحة ، فأعلن فى ٧ مارس ١٩٣٦ خروجه على لوكارنو واعتبارها لاغية ، وعلل ذلك بأن المعاهدة الفرنسية الروسية لا تتمشى مع لوكارنو ، ودعم هذا القول بأدلة أربعة ضمنها المذكرة التى أرسلها إلى دول لوكارنو ، وتنحصر فى أن المعاهدة الجديدة : (١) موجهة رأساً ضد ألمانيا (٢) وأن فرنسا بموجب معاهدتها مع الروسيا ، تعهدت بالقيام بواجبات لا تتفق مع الواجبات التى يلقيها على عاتقها صك العصبة ومعاهدة لوكارنو

فالادعاء الأول وهو أن «المعاهدة الفرنسية الروسية موجهة رأساً ضد ألمانيا» صحيح ، ولكن بالمعنى السلبى ، أى الدفاعى

إن المعاهدة التى نحن بصددها تقول بأنها تصبح نافذة فى حالة تعدى «دولة أوروبية» على احدى المتعاقدتين ، وأن بروتوكولها يوضح بأن تنفيذ هذه المعاهدة يجب أن يكون فقط ضمن حدود «الاتفاق الثلاثى» الذى رفضت ألمانيا الموافقة عليه . وهذه النصوص تنفى مفعول المعاهدة فى حالة اعتداء أى دولة غير أوروبية أولاً ، ثم تحصر مفعولها فى حالة اعتداء ألمانيا فقط على احدى الدولتين المتعاقدتين ؛ فهى إذن موجهة ضد ألمانيا ، ولكن يجب ألا يغرب عن الذهن بأنها لا تنفذ إلا حين تعدى ألمانيا على فرنسا أو الروسيا تعدياً غير محرض عليه ؛ ونصها صريح فى ذلك . والذين قاموا بعقدها يصرحون بذلك

تصريحاً كافياً ؛ فهى إذن من الوجهة القانونية والسياسية معاهدة دفاعية محضة ، وبدهى أن لا خطر على ألمانيا من هذه المعاهدة إلا حين تعديها على احدى الدولتين تعدياً غير محرض عليه . ولو كانت ألمانيا لا تفكر فى أى تعد على احديهما لما وجدت فيها تهديداً ولا خطراً عليها ؛ وزد على ذلك بأن نص المعاهدة والبروتوكول يفسحان المجال لدخول ألمانيا فيها فتصبح معاهدة ثلاثية تضمن فيها فرنسا والروسيا الدفاع عن ألمانيا حين تعدى احداهما عليها

وردا على الادعاء الثانى يمكن القول بأن « المساعدة المتبادلة التى تعهدت بها كل من الدولتين المتعاقدتين لا تصبح نافذة إلا حين وقوع احداهما « ضحية هجوم غير محرض عليه » ، « وبرغم نية البلادين الحسنة فى المحافظة على السلام » . وهذه المساعدة يوجبها أيضاً صك العصبة . أما فى الحالة التى لم تستطع فيها العصبة الوصول إلى قرار بالاجماع فى ابانة الحق من الباطل فى الاختلاف ، فمساعدة فرنسا للروسيا والروسيا لفرنسا لا يكون إلا إذا وضح بأن ألمانيا كانت المعتدية تعدياً غير محرض عليه على إحدى الدولتين ؛ وبرغم أن مساعدة فرنسا للروسيا فى هذه الحالة لم تكن نتيجة قرار العصبة ، فان مبدأ العصبة يوجبها ؛ إذ أن البند ٧ من المادة ١٥ ينص على أنه فى الحالات التى لا تتمكن فيها العصبة من اصدار توصيات أو الوصول إلى قرار بالاجماع ، تصبح كل دولة طليقة اليدين ، ويحق لها اتخاذ قرار فردى والعمل منفردة ، ويظهر لنا أن كل ما جاء فى المعاهدة الفرنسية الروسية التى أثارت ثائرة ألمانيا ، ما هو إلا ايضاح وتثبيت لهذا المبدأ

على أنه فى حالة القرار والعمل الفردى من جهة ، وحين اعتداء ألمانيا على الروسيا من جهة ثانية ، لا يحق للروسيا مطالبة فرنسا بمساعدتها « أتوماتيكيا » بل لفرنسا الحق وحدها فى التقرير فيما إذا كانت ألمانيا المعتدية الأولى . وهذا الحق يمكن فرنسا من النظر فيما إذا كانت مساعدتها للروسيا مخالفة للمعاهدات التى عقدتها قبلاً وخصوصاً معاهدة لوكارنو . والبند الثانى من هذه المعاهدة ينص على أن « محتويات هذه المعاهدة لا تنفذ فى الحالات التى يكون تنفيذها يوجب وقوع عقاب دولى الصبغة من جراء تضاربها مع واجبات معاهدات ، غير سرية ، عقدتها إحدى الدولتين مع فريق ثالث » . وينتج عن ذلك أنه لا حق لألمانيا (قبل تمزيقها للوكارنو) طلب مساعدة بريطانيا وإيطاليا فيما إذا هاجمتها فرنسا عملاً بمعاهدتها مع الروسيا ، لأن هجوم فرنسا عليها داخل ضمن دائرة المادة ١٦ أو البند ٧ من المادة (١٥) من صك العصبة

ولو فرضنا جدلاً بأن المعاهدة الفرنسية الروسية لا تتمشى مع معاهدة لوكارنو ، فلا يمكن أن يعد هذا الاختلاف ، بوجه من الوجوه ، سبباً لابطال معاهدة لوكارنو . والمسألة الوحيدة التى يمكن أن تنشأ عن التضارب بين المعاهدتين هى عدم قانونية المعاهدة الجديدة . وفى هذه الحالة لا يحق للحكومة الألمانية إلا الادعاء بعدم قانونية المعاهدة الفرنسية الروسية ، ورفع دعوى بذلك ، وليس اعتبارها غير قانونية حسب رأيها ومشيئتها فحسب ، لأنه لا يحق لأحد أن يكون قاضياً فى دعواه

أما المبدأ الجديد فى العلاقات الدولية الذى تبعه ويبشر به الهر هتلر وحكومته ، فيقول بأن لا قيمة لأى معاهدة دولية مادامت تخالف مصالح إحدى الدول التى وقعت عليها ، وأن لتلك الدولة المتضررة من المعاهدة الحق فى تمزيقها وعدم اتباع موجباتها . وهذا المبدأ الجديد خطأ ومخالف لمبادئ الحقوق الدولية التى سارت عليها الدول حتى الآن ، إذ تصبح الدولة المتضررة الحكم الوحيد فى دعواها . وان انتشر هذ المبدأ وعملت به الدول فمعنى ذلك القضاء على الحقوق والعدالة الدولية ، وإقامة « حق القوة » مكانها فتزول العلاقات الدولية المبنية على قدسية المعاهدات وتحل مكانها الفوضى ، وينتصر إله الحرب

يظهر من كل هذا أن فرنسا لم تأخذ على عاتقها فى معاهدتها مع الروسيا واجبات تنافى الواجبات التى يفرضها عليها صك العصبة ، وأن هذه المعاهدة تتمشى مع مبادئ العصبة ومعاهدة لوكارنو . ويتضح جلياً بأن عمل ألمانيا فى ٧ مارس ينافى الحقوق الدولية ويعتدى على قدسية المعاهدات منافاة تامة واعتداء صارخاً .

(لندن) يوسف هيكل
دكتور فى الحقوق

صرعى الأغراض

طرفة من الشعر الاجتماعي تعبر عن الآلام المكظومة للكفايات المظلومة

للشاعر الراوية الأستاذ أحمد الزين

يا للعزائم يثنى من مواضيها   أنَّ الكفايات يُقضى بالهوى فيها
وللمواهب بالأغراض يقتلها   من يستمدّ حياةً من أياديها
وللجهود بأعشى الرأى يطفئها   ماضٍ على ضوئها سارٍ بهاديها
وللنوابغ يقضى فى مواهبهم   بما يشاء هواه غيرُ قاضيها
جادوا بأعمارهم حتى لجاحدهم   إن المواهب سِلْمٌ فى أعاديها
كالشمس تقبس منها عين عابدها   وترسل النور فى أجفان شانيها
والنفس إن مائت بالود فاض على   نفوس أعدائها بالود صافيها
كالسحب إذ ملئت بالغيث فاض على
جدب البلاد خلوف من هواميها
لا يدَّع العدل قوم فى عدالتهم
صرعى الكفايات تشكو ظُلْم أهليها
ولا المساواةَ والأفهامُ لو وزنت   مع الغباوة فيهم لا تساويها
ولا الحضارةَ من تجزى نوابغهم   وحشيةً تسكن البيداء والتيها
إذا البلاد تخلت عن حياطتها   يد النبوغ تداعت من صياصيها
دع الحديث عن القسطاس فى عُصَب
ما سودت بينها إلا مُرائيها
سوق النفاق بهم شتى بضائعها   ترجّى لمن يشترى إفكاً وتمويها
أرخصتمو غالىَ الأخلاق فى بلد   لم تغلُ قيمته إلا بغاليها
يا رُبَّ نفس أضاء الطهر صفحتها   أفسدتموها فزلّت فى مهاويها
وكم قلوب كساها الحسن نضرته   دنّستموها فعاد الحسن تشويها
أغلقتمو سبل الأرزاق لم تدعوا   لفاضِل الخُلق سعياً فى نواحيها
مدارس تغرس الأخلاق فى نَشَأ   ومغلق الرزق بعد الغرس يذويها
لا تَلْحَ طالب رزق فى نقائصه
إن الضرورات من أقوى دواعيها
ما أطهر الخُلُق المصرى لو طَهُرت   تلك الرياسات من أهواء موحيها
يا آخذين بقتل النفس قاتلها   قتلى المواهب لم يُنْعم لشاكيها
كم للنبوغ دماء بينكم سفكت   باسم المآرب لا اسم الله مُجريها
هلا اقتصصتم لها من ظلم سافكها   وقلّ فيما جناه قتل جانيها
أولى الورى بقصاص منه ذو غرض
يخشى المواهبَ تخفيه فيخفيها
مِلْءُ المناصب منهومون قد جعلوا
من دونها سد ذى القرنين يحميها
على مناعة ذاك السد تنفذه   عصابة تتواصى فى حواشيها
من كل أخرق تنسل الحظوظ به   إلى المراتب يسمو فى مراقيها
خابى القُوَى عبقرى الجهل يثقله
عبء الرياسة إذ يدعوه داعيها
يا حافرين تراب الأرض عن حجر
أو جثة فى ظلام القبر يطويها
ومنفقين من الأموال طائلها   فى البحث عن خِرَق لم يُغْنِ باليها
مستبشرين بما يلقون من تحف   للقوم أو خزفات من أوانيها
ورافعين من البنيان شاهقه   فيه الذخائر قد صُفَّت لرائيها
هلا عرفتم لمصرٍ فضل حاضرها   يا عارفين لمصر فضل ماضيها
إن العصور التى جادت بمن سلفوا   على الحضارة لم تبخل أياديها
ذُخر المواهب فى أحيائكم تحفٌ   بَذَّت متاحفكم وصفاً وتشبيها
ما إن يقال لها : لله صانعها   لكن يقال : تعالى الله باريها
هبوا النوابغ موتى فاجعلوا لهمُ   حظَّ النواويس أكرمتم مثاويها
جعلتم الحىَّ يرجو حظ ميتكم   لحظ أحيائكم فى مصر يشقيها
أيُحرم النحلُ غضّ الزهر يلفظه   شهدا، وقد شبعت منه أفاعيها
ويُقتل الروض ذو الأثمار من ظمأ
والماء يروى مَواتاً من فيافيها
من يقتل الجهد يقتل فيه أمته   وأمة الجهد تحييه فيحييها
إن الشعوب إذا ماتت مواهبها   نقاضةٌ أعوزتها كف بانيها

أحمد الزين

حرب العلم

للأستاذ فخرى أبو السعود

للجهلُ أرْفقُ فى دُجَى أزمانه … بالمرء إنْ يكُ ذا مَدَى عرفانه
سقياً لعهد الجهـل فى أفيائه … نَعِمَ الجدودُ وفى رَضِىِّ جنانه
إذْ شِكّةُ البطلِ المُقاتلِ لهذمٌ … يُصمى به الأقرانَ يوم طِعانه
لم يَبْغِ بالبُرَءاء عدواناً ولم … يخصُص بصولته سوى أقرانه
يُولِى المُسالِمَ بِرَّهُ من بعدما … أوْلَى مُناجزَهُ شَباةَ سنانه
فاليومَ سَوَّى العلمُ فى فتكاته … بين الورى طرًّا وفى إثخانه
أمستْ بيوت الخلق مِن أهدافه … وغدَتْ خدورُ الغيد من ميدانه
لا مُرْضعٌ تنجو ولا مَنْ أرضعتْ … من كيده يُعفَى ومنْ عدوانه
قد كان يحمى الحوضَ أمسِ رجالُه … من خصمه إن جَدَّ يومُ رهانه
فاليوم أوّلُ ذائقٍ لِلَظى الوغى … أطفـــالُه ومُنَعَّماتُ حسانه
والشيخُ منحنياً على عكّازه … والحَبْرُ مبتهلاً إلى رحمانه
العلمُ ليس بقانعٍ من خصمه … بالمُقْدِمِ المغوار من فرسانه
يسعَى إلى الساعين فى أرزاقهم … والآمِنِ المأمونِ فى جدرانه
يا وَيْحَ إقليمٍ أتاه العـلم فى … أجناده يسعَى وفى أعوانه
ينتابُه بسـمومه ورجومه … ويلفُّه فى ناره ودخانه
تطغى جحافله على أمواهه … وفضـائه وسهوله وقنانه
بِسَوابحٍ تحت العباب وفوقه … ومحلّقات فى طِباقِ عنانه
وزواحفٍ فوق الأديم شتيمةٍ … تطوى رَوابيَهُ إلى وديانه
حيـوانُه وزروعُه وديارُه … وقُراهُ والآلافُ من سكانه
بعضُ الهشيم إذا أتاه العلم فى … آلاته ليهـدَّ من أركانه
هيهات يَعصم مِنْ أذى غازاته … حِرْزٌ ويحمى مِنْ لَظَى نيرانه
مَنْ فرّ مِنْ غيلانه فإلى حمَى … حيّاته وإلى رَدَى عقبانه
هذا جحيم العلم يُصليه الورى … إن هاجت الأطماعُ مِن شيطانه
لم يعتصمْ شعبٌ أبىٌّ باسلٌ … بهضابه منـــه ولا قيعانه
لمّا رماه بناره وحديده … ومشى يقدُّ الصَّلْدَ من صوانه
حَرَمُ السيادة رَدَّ قِدْماً دونه … أعداءه وأُعِزَّ فى شجعانه
قد فَضّهُ العلمُ الخؤون بغدره … وزها بما قد دكَّ من بنيانه
قدبات يَخشى الكونُ يوماً مقبلاً … فيـه يلجُّ العلمُ فى ثورانه
يَهُدُّ الصروحَ الشُّمَّ فى زلزاله … ويقوّض الأمصار فى بركانه
ويَرُدُّ قفرًا موحشاً ما شادَ من … زاهى حضارته ومن عمرانه

فخرى أبو السعود

يوم الرسالة

للأستاذ رفيق فاخورى

شدَّ ما برَّحت بى ! هل من رجاء … أيها الشوق على الصبر العفاء
غلب المضنى على مجهوده … وحمـاه راحة النفس العناء
وتعايا فى جراح فى الحشا … قتل البين ! أساها فأساء
قل لمن أسرف فى تعنيفه … سبق الداء ولم يُغنِ الدواء
ويحه يقضى فلولا نفعت … رحمـة منك وآثرت الوفاء
يا أحباى دموعى بعـدكم … أعين تجرى وأشجانى ظماء
وحنينى لو علمتم جذوة … فى الحنايا بلظاها يستضاء
جددوا عهـد التصافى إنه … نعمة عشنا بها قبـل التَّناء
وخذوا قلبى بما أعطيتمُ … فدية العانى وجودوا باللقاء
وبروحى من إذا مرت على … خاطرى ذكراه كانت لى شفاء
عَـلَمٌ من هاشم منبته … كرم الآل الهـداة السمحاء
ذروة السؤدد جيران السها … لهمُ صيغت تجاويد الثناء
مجدهم ينسخ لألاء الضحى … وعلاهم لا يدانيها علاء

* * *

سـيد الخلق ونبراس الهدى … وضـياء بجلاء الشك جاء
وعظيما من بنى الدنيا ارتقى … بجلال الروح أسباب السماء
وعماد الملة الغـراء ما … جاورت قلبًا فجافاه الرجاء
ومنار الهائمين التبسوا … بالدجى فى مجهل الأرض الفضاء
يومك المشهور فى طلعتـه … كجبين الشمس حسنا وبهاء
مفرد يزهو على الأيام ما … نصلت من صبغة الليل ذُكاء

طبّق الآفاق ميمون الخطا ... وعلى الدهر تمشّى الخيَلاء
وأعاد الكون بالبشرى فتى ... رائع الغرة لماح الرواء

***

صبّح الهادين سعداً شاملاً ... ورمى العادين بالخطب العياء
زلزل الشرك على أنصاره ... فاستوى الحق عليها فأضاء
يومك المشهود يا خير الورى ... غرة التاريخ عيد الحنفاء
لم يظل الناس يوماً قبله ... ملأ الأفواه حمداً وثناء
وجرى كل لسان مقول ... فيه شوطاً وتبارى الخطباء
جاءنا يحمل فى أطوائه ... سيرة المختار زين الأنبياء
فمشت فى كل روع هزة ... جلّ من فجّر ذياك الضياء
يا أبا الزهراء ما مثلى وقد ... خانه المنطق يجزى الكبراء
آية الله تعالى قدرها ... تفحم الشعر وتعيى الفصحاء
لك فى كل جنان هيبة ... ألفت بين قلوب الأتقياء
أنت من أسرار ذى العرش التى ... لا يواريها مدى الدهر الخفاء

***

ربِّ إنى واسلٌ بالمصطفى ... فتقبل من مرجيك الدعاء
هيِّئ الغوث لقوم أسرفوا ... فى الخطايا واهتدوا بالأشقياء
إن قومى ظلموا أنفسهم ... وتظنوا فى الأضاليل النجاء
جعلوا دينك ظهرياً ولم ... يسمعوا من جانب الحق النداء
رغبوا عن سنة الهادى فهم ... إن علا صوت المنادى غرباء
وهمُ فى كل أرض وحمى ... مركب للذل ما فيهم غناء
خذلوا الأخلاق وانهالوا على ... زخرف الدنيا فعاشوا ضعفاء
أيها القوم اذكروا تاريخكم ... إن فيه عبرة للبصراء
أين ما شاد لنا آباؤنا ؟ ... أين ما قد خلفته الخلفاء ؟
أين آثار الميامين الأولى ... ينسب العز إليهم والسناء ؟
أين للاسلام ملك باذخ ... كالرواسى حصنته الكبرياء ؟
درج الدهر على أعيانه ... فانطوى إثرهمُ ذاك اللواء
وبقينا خانعاً فى أرضهم ... أحمدوا السلوان واختاروا الثواء
ضل قوم ضيعوا الميراث أو ... سدلوا جهلا على الماضى غطاء

(حمص) رفيق فاخورى

انتظرى بُغضى ...

للأستاذ محمود محمد شاكر

حَبَبْتُكِ ، والأوْهَام فِكْرى وحُجَّتى ... تُؤَلِّبُ بَعْضِى — فى هواك — على بعضى
إذا ما نقضتُ الرأىَ بالرأىِ ، رَدَّنِى ... — إلى خطراتِ الوهم — مضٌّ على مضّ
أصارعُ أهوالاً من الغيظِ والرِّضَى ... وما يتولَّى الغيظَ فَوقَ الذى يُرْضى
عجبتُ لمن راضَ النِّساءَ ورُضْنَه ... ويقضينَ من إيلامِهِ دون ما يقضى
ويَرْمينه بالسَّهم ليس بضائرٍ ، ... ويَرْمى بما يَحْمى الجفون عن الغُمضِ
فكيف به قد ذَلَّ وَهُو مُكرَّمٌ ... وأغضَى ولو قدْ ناصبَ الدهرَ لم يُغْضِ !
كفى بك ذُلاًّ أن تبيتَ على جوًى ... وتُصبحُ فى ذكرى ، وتُمسِى على رَمْضِ
كأنك لم تُخْلَقْ لِدُنْيا تجوبُها ! ... وما أضيقَ الدنيا من الحَدَقِ المُرْضِ !
فهُنَّ اللواتِى زدْنَ فى العيشِ لذَّةً ... فأقْصَيْنَ لذّاتٍ من الفرحِ المَحْضِ
شككتُ ، وقد تُنجى من الشرِّ ريبةٌ ... وتُبْدِلُ مُسْوَدَّ الحظوظِ بمُبْيَضّ
لقد كنتُ أمضى طائعاً غيرَ جامحٍ ... وأرضى بإطراقٍ على الرِّيَبِ أو غَضِّ
ويفضَحُنى فيك اقتحامى وغَيْرتى ... وطرفى وما جَسَّ الأطباء من نبضى
ويأكلُ قلبى ما أكتِّمُ راضياً . . ... فما بكتِ العينُ الشبابَ الذى يمضى . !
وأنتِ . . ! لعمرى فى سرور وغبطة ... يَسُرُّكِ بسطى فى الحوادث أو قبضى
أأنثى ووحشٌ ؟ جلَّ خالقُ خلقه ! ... وسبحان كاسى الوحش من رونق غَضّ !

القصص

من الحياة

الضحية . . .

للأستاذ كامل محمود حبيب

انحسر الليل عن جبين الفجر ، والفتى لا يزال فى مجلسه يشهد ليلة تنطوى ، وفجراً يبزغ ؛ وكأن الليلة لم تكن فى فكره إلا ساعة ، وكأنه وقد جلس يرقب سير الكواكب فى أفلاكها كان ينتظر أن يقرأ فيها تتمة الرسالة التى قرأ أول كلمة منها أول الليل ، فوجد فيها ماوجد من لذة ونشوة وسحر . لم ير فى صفحة الكواكب السيارة ، ولا فى العالم الهادىء النائم المطمئن ، إلا شيئاً كان فى خياله هو وفى خواطره . جلس لا ليقرأ حظه فى كتاب السماء ، ولكن ليؤلف كتاباً من نفسه الطروب المرحة

. . . . وذهب الى عمله وهو نشاط يشتعل ؛ فهو يجىء ويذهب ، ويقرأ ويكتب ، ويتكلم فيبين ، وكأن شيئاً فيه قد خلقه من جديد ليكون شخصا غير الذى يعرفه فى نفسه ، ويكون إنساناً سوى ذلك الذى عرفه صحابته ورفاقه . ودخل الى صديق يحدثه ، يريد أن يفضى اليه ببعض ما يفور فى نفسه ، ولكنه عاد فرأى أن ذلك الشىء الذى بعثه من جديد لم يكن إلا فى نفسه لنفسه ، فهو سره هو ، وهو له وحده . . . ثم رجع الى بيته ليطيل النظر الى نفسه فى المرآة يأمل أن تريه مرآته الشابّ الذى فى قلبه ، فلم ير إلاّ ما تريه المرآة كل يوم ، ولكن هندسة عقله الجديدة قد بدت على هندامه وزيّه فكان جديداً حتى فى هندامه وزيّه . أكلّ ذلك لأنه رآها أمس وجلس اليها وقال لها وقالت له . . . ؟

ومضى الفتى على طريقه ، وفتاته أمامه تنير له ما أظلم ، وتفتح له ما استغلق ، وقلبه ماض على أثرها ، وهو من وراء الاثنين : قلبه وفتاته ، طيّع منقاد

وأبعد فى السير ، فباعد بين الفتى الجديد والفتى الذى كان ، وعاد لا ينظر الى الوراء إلاّ ليرى ذاك العريش الذى جلسا تحته لأول ما قال لها وقالت له . . . وكأن عمره قد اختُصِر فى هذه الأشهر القليلة ، ولكنه كان عمراً طويلاً

وخيّل الى الفتى حين اجتلى النور من وجه صاحبته ، وحين حاطه الشعاع الآسر من روحها ومن عينيها ، وحين رأى الأمل يترقرق على شفتيها من ابتسامة رقيقة ، خُيّل اليه حينذاك أنه عاش ماعاش من العمر أعمى لا يرى الحياة إلاّ مادة ؛ أما الآن فهى عنده روح من الروح ، وهى عنده شعاع يسطع فى قلبه ، فلا يزال يذكى روحه ، ويرهف حسّه ، ويشعره معنى الحياة الجميلة ، ويحبّب اليه أن يعيش عَيْشه مغموراً فى هذا النور الآلهى الذى ولّده السالب والموجب من قلبها ومن قلبه

وتلاقيا على ميعاد . ونظر ونظرت ، فاذا عصفوران يتساقيان

وأعجبُ منه لَذّتى ومَسَرّتى على حين نَهشى فى المخالبِ أونفضى

فيا سوء ما أبقيْتِ فى الدّم من لَظًى

وفى الفكر من كَلْمٍ وفى القلب من عضّ

أخافك فى سرى وجهرى ، ومشهدى

لديك وغَيْبى ، خوفَ أرقط مُنْقَضّ

لقد كنتِ أحلامى — إذا الليل ضمّنى ،

وكنتِ إذا ما الفجر ايقظنى — روضى

يناجيك طير فى الضلوع بلحنه

لقد عاش فى سحر ، وقدعشت فى خفض

وكنتِ على ورد الخمائل زينةً وكان بشيرَ الفجر فى الفنن الغض

فأصبحتِ . . . لا خيراً فيُرْجى ، ولا لقًى

فيُلقى ؛ ولستِ من سمائى ولا أرضى

تصامَمْتِ عن قلبى وزُمتِ مساءتى وتنتظرين الحُب ! انتظرى بُغضى

الهوى على فنن ؛ فقال فى نفسه : « ما أتمس الانسان ! يقيد نفسه بأغلال المادة والتقاليد ، ثم يزعم أنه طليق . ليتنا مثل هذين...! »
وقال لها وقالت له . وكان كلاماً لا تلفظه الشفاه : من ذا يفهم لغة الطير ، أو يسمع نجوى العاشقين عينا الى عين ؟ إن هذين الطائرين يفهمان من فلسفة الحياة أكثر مما استوعبت عقول البشر . إنهما يملكان الحرية ، وفى أيدينا وأرجلنا قيود ذهبية...!
ومالت على زهرة نضرة من أزهار الحديقة تقطفها ، ونظر الفتى فما بدت لعينيه زهرة ، بل رمزاً من شفة ، وخد ، وعطر ، وخطرة دلال . وأسرع الى صاحبته : رويدك يا فتاتى ، إن هذه الأنامل الجميلة ما خُلقت إلا لتتملّى هذا الجمال وترعاه !

ولما همّا ليفترقا لم يقل لها : يا فتاتى التى أحب . بل قال لها : يا من حبتنى الخلود وأشعرتنى لذة السعادة على الأرض

* * *

ما أعجب ما يرى الانسان فى الحياة ! وهل يرى كل ما فيها إلا على ما رُكِّبتْ عليه طبيعته المادية الجامدة ؟ حتى إذا ما لمست فتاة قلبه حالت كل مادة على الأرض شيئاً إلهـياً نورانياً ، يتلألأ كما انفلق الاصباح عن ليل طويل دامس . وماذا فى الشباب إن لم يكن هذا الشباب فى القلب قبل أن يكون فى نضرة الوجه وتكتُّل العضل ؟ حتى الشيخ يرده الحب فتياً ! تلك حكمة الله فى الأرض

* * *

سار الفتى على سننه ؛ وذهبت نفسه وراء فتاته ، وهى من عقلها لا تخمد العاطفة بارضى الدائم ، ولا تبعث فى نفسه السأم بالغضب المستمر . وهو من كبريائه لا يندفع اندفاع الطيش ، ولا يُقْصر اقصار الملل . نفسان عُقِّدتا ؛ ولكنهما عقدتا ليكون الحب فيهما عقدة ثالثة . فهى تنفور ، وهو يتنزّى ولكنهما ها . أراد أن يكون صريحاً فتعقدت له ، فلما أرادت أن تكون صريحة وجدته قد تعقد

ضَلَّ من يقول إن العقل والكبرياء كلاهما يذهبان برونق الهوى ، ويطفئان شعلة الحب . إنهما يجعلان من الهوى هوى مركباً لا ترقى اليه العقول الصغيرة ، ومن الحب حباً معقداً لا تبلغه العاطفة السقيمة

ثم انطلقا . . . والفتى سعيد بفتاته . والفتاة سعيدة بفتاها فما يفترقان إلا على ميعاد ، وهما بين الميعادين كالظمآن يذكر آخر قطرة تذوقها ويرى فيها الحياة ، وينتظر أول قطرة تأتيه ليرى منها النور

على ضفة النهر ، وبين الخمائل ، وتحت ظلال الشجر ، وفى ضياء البدر ، فى صمت الطبيعة وجمالها ، طائران أغمض الدهر عنهما جفنيه ليرشفا من رحيق الحيـاة كأساً صافية ، ما كدّرها تخاصم ، ولا لوّثها عبث . عام انطوى ، فكان العمر ، وكان جمال العمر ، والصفحة البيضاء فى كتاب حياة الشاب والشابة . فما يكون جزاء هذا الحب إلا رباطاً لا تنفصم عروته ؟ وتلألأت الفكرة ، وتضاعفت سعادة العاشقين بهذا الأمل الجديد

والفتى والفتاة من أسرتين ترسفان من التقاليد فى أغلال ، وويل للحب إذا اعترضت سبيله التقاليد !

* * *

وكانت فكرة ، ثم استحالت الفكرة فاذا هى كلام ، وحار الكلام فاذا هو خطوات إلى غاية ؛ ولكن ... ولكن ما أحوج هذا السالك إلى من يرود له الطريق ! هؤلاء أهلها ، ماذا يعرفون من أمره ؟ وكيف يخطبها اليهم وماله عندهم اسم ولا رسم ؟ وهؤلاء أهله ، ماذا يعرفون من أمر فتاته ، وما حاول من قبل مرة أن يفض لهم أغلاق قلبه أو يقرأ عليهم سطراً من شبابه ؟ وهذا أبوه ، شيخ لا يؤمن بالحب ، ولا ينقاد لنزوات العاطفة ؛ وهو رباه ونشأه واختار له فيما اختار فتاة من ذوى قرباه ، فما ينتظر له زوجاً غيرها ولا لها زوجاً غيره . فمن ذا يشفع له عنده ؟ وهذا عمه ، وإنه لرجل جد وكفاح لا يرى الحياة إلا من الناحية الصلبة الجافة ، فما اليـه مشتكى ، ولا فيه شفاعة ! ولقد تلقى الفتى عن أبيـه — فيما تلقى — دروساً فى الشجاعة والصراحة معاً ، فكيف تخذله شجاعته ، وكيف يلتوى لسانه وهو يطلب الحياة لنفسه ؟ وفى قلب الفتى نار لو لفحتْ الشجر الأخضر لتركته هشيما ، وفى رأسه شعلة لو نفخت على السائل لتركته يغلى ويفور . وابتدأ الفيلسوف الذى فى رأسه يفرض الفروض ، ويأتى بالمقدمات ، ولكن إلى غير نتيجة

لقد ملك اللذة وأراد أن ينعم بها ، ولمس السعادة وأمل أن يحتويها ، ولكن فكرتى اللذة والسعادة هما اللتان ذهبتا بشجاعته وصراحته

ماذا فى السعادة غير اطمئنان الخاطر ، وهدوء الضمير ، وإشراق الحياة ، وابتهاج النفس ، والرضى بكل ما يجيء به القدر ؟ ذلك هو الايمان ، والشعور به هو اللذة . فلا تنشدهما من غير هذا السبيل

* * *

ونفخ الحب فى عزم الفتى ، ونفث من سحره فى لسانه ، فمضى بين الرجاء واليأس ينفض أمام أبيه جملة حاله . وكان أبوه قد قدّر حين رأى فى ابنه الذهول والصمت حيناً ، والانكباب على المطالعة حيناً آخر ، أن به شيئاً . وقالت له ذكريات شبابه : « ويحك أيها الشيخ ! إن فتاة قد سلبتك فتاك ، لأنه فقد النوع ، وإنه لشاب به من ثورة الفتاء ما بالمرجل يوقد تحته بنار من حجارة ، فأمسك عليك ولدك بزوج تربطه بها وتربطها به ... ! » ووعى الشيخ ما سمع . فلما أذن للفتى أن يكشف لأبيه عن صدره ، قال له : « يا بنى ! إن حكمة الشيوخ غير طيش الشباب . يا بنى ! إنه أنا الذى رباك وأنا الذى يريد أن يعيش فى تاريخك جيلاً آخر . عقلك أولاً ثم عاطفتك ، وغداً تهدأ هذه الثورة ...! » ولكن الثورة لم تهدأ بل زادت ضراماً ، وعاد الفتى إلى عمه يستعينه على رأى أبيه ، فما الأخ إلا صورة من أخيه ، ولما أرسل إلى أهلها قالوا : « حتى يرضى أهله »

وضاقت نفس الفتى بما رأى وسمع ، وما لبثت الفتاة أن سميت على غيره ، فأصبح الفتى يتوزعه الحب وقد أخفق فيه وصفرت منه يداه ، والكبرياء التى لا تطاوعه على أن ينقاد ، فصار همه همين ؛ وعض الحزن على قلبه فاستلبه من أيامه ، وخلفه يمشى بين الناس جسداً بلا روح . . . !

وأحس الأب بمقدار قسوته على ولده ، على حين لم يكن يريد له إلا السعادة ، فانطلق يلتمس له الشفاء من ألمه ، ولكن أين له ما يريد وقد سميت الفتاة على غيره فخطبت ؟ . . .

وكان الأب فى انطلاقه يفتش عن السعادة لابنه ، قد ترك وراءه شبحاً يجلس إلى مدفئه فى زاوية من الحجرة وقد نشر أمامه ورقة لا يكاد يتبين من سطورها إلا سطراً أسود يضطرب أمام عينيه ، وكأنه لم يكن ينظر كلاماً مكتوباً بل شريطاً عريضاً أسود يمثل له حظه فى الحب . لقد وعاه من طول ما كرره ، ولكنه ما يزال يقرأ ، ويعيد ما يقرأ ، كأن ألفاظه تمسح ببياضها هذا السواد الماثل أمامه : « لقد تخليت عنى فى وقت أنا أحوج فيه اليك ، وقد كان بيننا ما كان . تخليت عنى ليعبث أهلى — بما لهم على من حق — فى مستقبلى . لقد أرغمونى حين ردوك »

ولما ارتد الأب خائباً ، وجد الابن قد أكلته الخيبة والتهمه اليأس ، فعاد يهمس بينه وبين نفسه : « ويلى ! لقد جنيت ! » ثم ابتدأ يلتمس لولده العزاء مما جنى عليه ، فقدر له أن يمضى أياما على شاطئ البحر ، عند الربيع الأزرق . هناك حيث يخلع الانسان همومه إذ يخلع ملابسه ، ويتحلل من أثقال المدنية وتقاليد الناس حين يرى نفسه كآدم وحواء قبل اتخاذ الثياب . وكان الفتى واسع الخيال دقيق الحس ، فآلمه أن يرى هذا الناس قد اجتمعوا ليقتسموا الصحة والعافية ، واللذة والسعادة ، وهو وحده يعيش فى جو بعيد عن كل ذلك ، هو جو قلبه ، وانصرم الصيف ، وما أفاد إلا هما على هم ، ووحشة كانت فى قلبه فعادت فى حسه وفى نفسه

وجلس الابن يقرأ — ذات ليلة — كتاباً فى تاريخ قدماء المصريين والأب ينصت ، وهو يتبين فى صوته رنين الأسى والحزن . فقال : إن لنا فى الشتاء لرحلة كما لنا فى الصيف رحلة . زيارة آثار أجدادنا القدماء . وطرب الشاب لهذه الفكرة الطارئة

* * *

وطوّفا ما طوفا والفتى فى نهاره رفيق أبيه ، وفى الليل صديق همومه

وجلس الفتى إلى نضد ، وقد مضى الليل إلا أقله يكتب إلى التى أحبها : « ذهب عقلى واستقر هواك . وهأنذا أطوف فى بلاد وقرى لم أنزل بها من قبل ، ولم يزرها أبى من قبل أيضاً . يظن أبى أننى أفرج عن نفسى ، وأرانى شريداً لأننى أرغم على ذلك إرغاماً . يؤمر ليطيع كالانسان الصناعى لايدرى ماذا يقال ، ولاماذا يُفعل ؛ وهم يسخرون من الانسانية إذ يسمونه الانسان . أبى يرى فى كل ذلك لذة ، أما أنا فلا أرى هنا ما يلذنى لأننى بعيد عنك . والآن وقد بلغنا أسوان بقى على أن أصف لك الخزان العظيم الذى يترك لأرض مصر جميعها فضلة ما يمسك . إنه فى رأسى الآن يجيش ويضطرب ، وغداً كيف أراه أمام عينى ؟ سأذكرك هناك ، يا فتاتى ، وأذكرك . . . »

وعند انبثاق الفجر انفلت من الفندق ليضع بعض قلبه في صندوق البريد

***

وعلى خزان اسوان سار مطمئناً ، وهو يعجب بما يرى ؛ عن يمينه طود من الماء ، وعن يساره رشاش الماء المنسكب ، أمواجاً تتلاطم ، كأنها في مضمار ، أيهما يبلغ الغاية أولاً ؟ وعلى سور الخزان المبنى من حجر الجرانيت ، وقف يتكئ على حاجز قصير هناك يطل منه على الماء يتدفق من فتحات الخزان حياة ، والخواطر تتدفق في أعماقه شجواً حزيناً يبعث الألم . وأخذت الفتى روعة ما رأى وأحس كأن الماء الذي يعترك في أسفل يجذبه ليحمله إلى من يحب . ورأى الرشاش المتطاير تنعكس عليه أشعة الشمس فترسم عليه قوساً ذات ألوان جميلة ، كأن عروساً في ثوب زفاف تتراءى له بين مرآتين ، ولكنه لم ير فيها إلا العروس التي فقد ، تبتعد بها الأقدار في صحبة رجل غريب . ورأى الماء يتسرب من بين الصخور كما يتسلل القدر في تاريخ إنسان ليضع فيه مأساة أو يصنع حادثة

ومضى الفتى يتخيل فيمعن في الخيال ، والماء تحت عينيه يموج ويضطرب ويزأر متدفقاً مكتسحاً في بطش وعنفوان ؛ فما يرى الفتى بين الموج والزبد إلا صورة واحدة : صورة الفتاة التي بعد بها عنه عنف القدر وسلطان التقاليد .

ورجع الأب ليصحب ولده فيعودا ، ولكنه انطلق يعدو حين رأى ابنه يوشك أن يتردى . فما بلغ إلا ليشهد آخر مأساة للشباب تتلقفه الأمواج

يا يد الشيخ أنت التي دفعته الى هذه الهوة فما كان لك أن تنقذيه . . . !

يا تجارب الشيخوخة كم أنت قاسية ! لقد أردت أن تزرعي السعادة فجنيت الشقاء . لقد كنت كبيرة فلم تفهمي لغة الشباب ، وكنت مادية فلم تفهمي حديث الروح ، وكنت صلبة فلم تعقلي كلمات القلب . هل أنت يا تجارب الشيخوخة إلا خرف الهرم ونكسة الانسانية . . ؟

ألا ليت الشباب وليت الهرم . . . ولكن ماذا يجدي ، ماذا يجدي ؟ ليت شعري هل قدر للانسانية ألا تبلغ سعادتها إلا على جسر من الضحايا ؟ فياويح الشباب وياويح الهرم !

كامل محمود حبيب

دراسة من اسخيلوس

٣ ـ الفُـــرس

Persae

للأستاذ دريني خشبة

تتمة

— ٧ —

« يظهر شبح دارا ويخاطب الجماعة »

— «أوه ! أنتم هنا يارفاق الصبى ولِدات الشباب ! مرحى! لقد ابيضت نواصيكم ، وجلل هاماتكم وقار المشيب ! ماذا ؟ ! ما لكم واجمين هكذا ؟ أى شجو يعقد أساريركم ياسادات فارس ؟ ماذا أسمع ؟ هناك ! هناك في جميع آفاق المملكة ؟ الجماهير العزيزة تئن وتبكى ! ويح لكم يا رعاياى ؟ أية كارثة ؟ ! تكلموا ؟ إن قربان الخمر الذى أسقيتم ثرى رمسى قد روّى أعظمى وانتشت بحُمَيّاه نفسى ؟ لشد ما أيقظتنى أناشيدكم وأذكاركم تتغنونها على هذا القبر يا سادات ، وتتغنناها معكم مليكتى ! ! تكلموا ! تكلموا إذن ! فيم جُؤاركم بى ، وصلاتكم من أجلى ، لأطوى الرحب إليكم من عالم الأشباح ؟ ! إن الآلهة ترنو إلىّ من بعد ، وإنها تكاد تتخطفنى ... لماذا تصمتون هكذا ؟ تكلموا وإلا فالويل لى من أرباب الظلمات ! ... »

— « لشد ما تفرق قلوبنا إذ نرى إلى هذه الهامة ! كيف السبيل إلى الكلام ؟ أى فزع يذوب كالموت في فرائصنا ؟ »

— « ليفرخ روعكم ! إن صلاتكم الطيبة هى التى سعت بى اليكم ! فيم هذا الجزع الذى يسيطر عليكم ؟ وهذا الحزن لِمَهْ ! تكلموا ! البدار ، اختصروا ما استطعتم فانى عجلان ، والآلهة تحدجنى من أعماق الدار الآخرة ! »

— « نفْرَق أن تنبس أفواهنا بكلمة عما حاق بأعز الناس ! إن حبنا له ، وجزعنا عليه يمنعنا من أن نقول كلمة ! ... »

— « هذا دأبكم دائماً ... طالما كنتم تخافون من لا شىء إذن ، فتكلمى أنت يا من كنت شريكتى في أهنأ حياة ؟ وأرجو أن توجزى ما استطعت . ! ما هذه الصيحات التى ترتفع من رعاياى في البر والبحر ؟ ما لهم يبكون في كل صوب ! »

— « مولاى دارا ! ؟ مليكى ! يا من ألهمت مجد الوطن ،

وكنت مُحَسَّداً من أندادك للأبهة التى شادت دعائمها يداك... كم أنت اليوم مُحَسَّد كذلك للراحة التى تنعم بها فى جوار آلهتك ... ؟ قصتنا موجزة ، وتكاد ترويها كلها كلمة واحدة ! الأمبراطورية يا مولاى ؟ لقد نسج الزمان عليها عناكب الخراب وليس من يقيل عثرتها ! ! »

— « لِمَهْ ؟ هل طاعون سلطه عليها رب الشر ؟ أم ثورة جعلت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ؟ »

— « لا هذا ولا ذاك ! ولكن ... جيشنا ... لقد حطمه القضاء تحت أسوار أثينا ! »

— « جيشنا ؟ ومَن مِن أبنائى هذا التاعس الذى غامر به ثمة ؟ »

— « الطائش إجزرسيس ! لقد أقفرت آسيا من روض شبابها بسبب تَهَوُّره ؟ »

— « فى البر أم فى البحر ، حاقت بهم النكبة النكباء ! »

— « فيهما معاً يا مولاى ! »

— « وكيف تم لهذا العسكر المجْر عبور البَحر إلى هيلاس ؟ »

— « مهندسوه يا مولاى أقاموا له جسراً عجباً ! »

— « وأى جسر هـذا الذى يصبر لأمواج البوسفور وأواذيه ؟ »

— « كانت أرواح مخربتهم تنفخ فى صدره طيلة ذلك اليوم ! »

« وأية ضربة لازب طاحت بجيش فارس وبأسطولها ؟ أكان العدو أكثر عددا وأعز قوة ! يا لتعسك يا إجزرسيس ! ترى ! كم شرذمة نجت من بطشة هذا القضاء ؟ »

— « ثلة فى البر وثلة فى البحر ... وكان هو ينطلق لا يلوى على شىء ! حتى عبر الى آسيا ! »

— « إيه يا آلهة ! هكذا تديرين رحى الخراب على من يديرها على نفسه ! إجزرسيس الطائش ! لقـد كان شيطانه هواه ، فلم يرحم شبابه ولم يترفق بشباب فارس ! حسب المأفون أنه يسخر بالآلهة ، ليستطيع أن يكتب الأقضية ، ويحول مجرى المقادير .. الا قد حبط مكره ... وحاق به سوء تدبيره ... وبدد فى حماقة كل ماذخرت لفارس من قوة وعتاد ... وجعل خزائن سوس لأعداء الامبراطورية نهباً مُقَسماً ... ألا من أضلَّك يا أتعس الأبناء ! »

— « أضلته نفسه ، وغلب عليه استبداده ، وسَوَّلت له تلك العُصبة من الحمقى والمأفونين »

« تعساً لهم من مُشيِرى سوءٍ ، وإخوان ضلالة ! وتعساً له من أُحَيْمق ، هدم المجد الذى بناه أجداده فرفعوا عماده ، ومهدوا له وأرسوْا فى ساحات النصر أوتاده ... الشقى الذى نسى نصيحتى فوق سرير الموت ، إذْ حذرته من محاربة الهيلانيين ! »

— « والآن يامولانا ! أنصح لنا نهتد بك فى ظلمات المستقبل »

— « هى نصيحتى أبداً ... لن تتغير ... لا تلتحموا فى حرب مرة أخرى مع الهيلانيين ! حتى ولو كان جندكم أكثر من جندهم أضعافا مضاعفة ! إنهم يحاربون من أجل وطنهم المفدى ! أما أنتم ... ففى سبيل أطماعكم تهرق دماء شبابكم ! هذا إلى هيلاس نفسها ... إنها تحارب بجنود لا ترونها فى جانب أبنائها ! »

— « هيلاس تحارب بجنود لا نراها ؟ وكيف ؟ »

— « أجل ! إنها تحارب المغـيرين بالمجاعات والأين والطواعين ! انظروا ! إن شراذم مبعثرة تهيم فى الآفاق .. لا تلوى على شىء ... تفر من الميـدان ! ويلاه ! إنها فلول أجنادكم ، أصبحت لا تقدر على شىء ! ... لقد تركها القائد الشقى تقاسى من الجوع والعرى والزمهرير ... أشباح وسمادير ، يرنق فوقها الموت عند كل أكمة !! إجزرسيس ! يا أتعس الأبناء ! ذق إنك أنت العزيز الكريم ! فيم استباح جنودك معابد الآلهة وأقداس الأرباب ! لقد دنسوا هيا كل القوم ، وسلبوا معابدهم ، وكسروا أوثانهم .. .فليذوقوا إذن وبال أمرهم ، ولترو من دمائهم رماح الأسـبرطيين ... وليؤدوا الدين من خزائن أرواحهم مُهجاً غالية ! ! يا للآلهة ! ! ما أقساه درساً ألقيته على كبرياء بنى الموتى وخيلائهم ! ! زيوس يا سيد الأولمب ! يا كبير الآلهة ذا الطول ، يا شديد الانتقام ! ما أهول بطشك حين تأزف ساعته ... وما أبلغ حلمك ! »

أيتها الملكة ! يا أم إجزرسيس ! يا أم ولدى التاعس ! هلمى فالبسى أبهى حللك ذات الأوشية ، وانطلقى فالقىْ ولدك المحزون ! رفهى عنه وواسيه بكلمة طيبة لن يحتملها إلا منك ، وبلغيه نصائحى ... »

أما أنتم يا رفاق صباى ! فالسـلام عليكم ... لتثلج صدوركم ولتطب نفوسكم ... لقد فرغتم من زينة هـذه الحياة الدنيا التى لا تسير فى ركاب الموتى الى الدار الآخرة »

« يتبع الشبح »

— ٨ —

ويرسل الأشياخ الفارسيون النُّجب زفرة كأنها لفحة من جهنم ، ويعبسون عبوسةً سادرةً حزينة لما يتحيف الوطن من أشجان ، ثم تمضى الملكة لتضفى عليها من أبهى وشْى فارس ولؤلؤ بحرها العجيب ، ولتذهب فتاتى ولدها المقهور المنهزم ، الذى عاد من حلبة هيلاس يجرر أذيال الخيبة ، ويتهالك على نفسه فى أسمال الخزى والانكسار ... « ولدى إجزرسيس ! الذى لابد له فى هذه المحنة من قلب الأم يضمه ويحنو عليه ، ويقشع عن عينيه ديجور الهم ، ويعيد اليه مسرة الدنيا وحبور الحياة ! »

— ٩ —

أما الخورس — وهم أولئك الأشياخ الوقورون — فيهزجون بنشيد طويل يذرفون فيه دموعهم على مجد الأكاسرة الغابر ، ويبكون على أيام كانت فارس سيدة الأرض ومؤدبة الأمم ، ويذكرون الهزائم التى حاقت بجيوشهم فى البر والبحر ... « وشبح الخراب الذى ينوء بكلكله على المدائن والقرى ، واليتم والجزع والبكاء التى تغزو كل بيت ، وتمزق صدر كل أم » وإفلات الأيالات الفارسية فى غرب آسيا وشمال هيلاس من قبضة الفرس ... حتى لو شاء الهيلانيون غزو فارس نفسها لما استعصت عليهم (١)

— ١٠ —

« يدخل إجزرسيس متخاذلا »

— « واشجوى ! »

لقد جل الخطب ، وفدحت قاصمة الظهر ، وامتدت يد الحدثان إلى زهرتك يا فارس ، يا وطنى ، فقضت عليها فى ريعان ، وأذبلت غصنها إذ هو ناضر ريان ، وجعلتها قصة فى كتاب الزمان ! ويحى ! كيف لى أن ألقى ساداتك أيها الوطن وقد خذلت هيلاس قواى ، وخانت تجلدى واصطبارى ! ألا ليتنى لَقِىَ بين أشلاء جنودى ، ألا ليت كثيباً مهيلاً طوانى فى ساحة المجد ، فلم أعد اليك يا بلادى ! لقد كان ثمة عزاء لى بين القتلى من صناديدى ! »

— « أهذا أنت يا إجزرسيس ! ويلاه ! من للأبهة والمجد ! من للجيوش الجرارة والجنود المظفرة ! من للكواكب والرايات ! أين أين القادة الصيد ، والأبطال الصناديد والمغاوير المذاويد ؟ لقد انتفضت فارس تبكى أفلاذ أكبادها فأين تركتهم دون ولىّ ولا نصير ؟ أكانت تعدهم لهذا العبث الذى قذفت بهم فيه وهم زهرتها وذخيرتها وعتادها ؟ ويلاه ! ياللساعة ويا للحساب المسير ؟ لقد كان أجدر لو لم تلقك آسيا أيها الملك كسيرة القلب مهيضة الجناح ، لا حول لها ولا طول ، ولا مجير ولا هاد ! »

— « زِهِ ! زِهِ ! ياسادات فارس ! ياللحظ العاثر والمجد الغابر ! أو هكذا يا رب تخزينى ملء رعيتى وبين جدران بيتى ؟ »

— « بل نحييك بالصراخ والعويل كما كان المارياندون يحيون موتاهم ... »

— « إذن ، فهلموا فابكوا ! لتنهمر دموعكم حتى ما تجف ، ولتشق السموات آهاتكم حتى ما تقف ! ألا ما حيلتى ؟ لقد اتحدت علىّ الأقدار ، واسودت فى صحائف غيبى الحظوظ ! »

— « بل نحن نصرخ فى وجهك صرخة فارس التى كلها ألم وشجو ... »

— « وا أسفاه ! ماذا عسانى كنت صانعاً وقد اتحد مارس وملؤه علىّ ! »

— « بل قل لنا أيها الملك ! أين أين أكابرنا ؟ أين أين السوسيون والفرندسيون والبلاجيون وغيرهم وغيرهم من أشراف القبائل والبطون والأفخاذ ؟

— « غرق من غرق ، وغال الردى فى الميدان من غال فى يم سلاميس وبرية بلاتيه . »

— « بل أجب هذه الدموع وحُرق الضلوع ! أين أين الظفر فرنوخوس وأريوماردوس الصالح ، وأمير الأمراء سيوالكوس ! وأين أين القنابل ذات الأيد من مازستراس وسيرأبيس وممفيس ! ... »

— « ابتلعهم اليم ... ثم لفظهم الدأماء ! ودارت عليهم المنايا أغربة سوداً وغرابيب لا تبقى ولا تذر ! ... فلا قائد اليوم ولا مقود ! ! »

— « ياللنكبة ! ياللثمن الفادح ! يالزهرة شبابك يا فارس فى هذا الرزء الذى ليس كمثله رزء ، والمصاب الذى دونه كل مصاب ! ! إذن ماذا بقى للوطن أيها الرجل ؟ »

— « هذه الأسمال التى ترونها لا تكاد تستر جسد مولاكم ! ! »

— « أهى كل ما بقى من الغرق و ... الهزيمة ؟

— « وهذا البيت الخاوى على عروشه ... وكانت اليه خزائن الأرض من قبل ؟ ماذا بقى لنا ؟ لقد تفرق عنى جميع أعوانى أبادد !

(١) صدق تقدير أسخيلوس فلقد غزاها الاسكندر بعد ذلك وخضد شوكتها

البريد الأدبي

هنري دي رينيه

من أنباء باريس الأخيرة أن الشاعر والكاتب القصصي الكبير هنري دي رينيه قد توفي في الرابع والعشرين من مايو؛ وبذا يكون قد توفي في أيام قلائل عضوان من أسطع أعضاء الأكاديمية الفرنسية، هما الأستاذ هنري روبير المحامي الأشهر (وقد ترجمناه في العدد الماضي) وهنري رينيه، وخلا بذلك كرسيان في مجتمع الخالدين. وقد ولد هنري فرانسوا دي رينيه في ديسمبر سنة ١٨٦٤ في هونفلور من أعمال كالفادوس من مقاطعات الحدود؛ وكان أبوه هنري شارل دي رينيه مفتشاً في الجمارك، وتلقى الكاتب دراسته في كلية ستانسلاس، ودرس القانون؛ ولكنه انصرف منذ حداثته الى الأدب؛ وبدأ بقرض الشعر قبل أن يبلغ العشرين، وفي سنة ١٨٨٥، أصدر أول مجموعة شعرية، عنوانها «أيام الغد» Les Lendemains، فأصابت نجاحا وأتبعها بعد ذلك بعدة مجموعات أخرى نذكر منها: «أوسمة دارجيل» Les Mèdailles d'Argiles و«فستيا الملتهبة» Vestigia flamme.

وعالج هنري دي رينيه كتابة القصص في نفس الوقت، وظهر منذ أواخر القرن الماضي بقصصه القوية الخصبة؛ ومن أشهر قصصه «عصا جاسب» La Canne de Gasps (سنة ١٨٩٥)، و«العشيقة المزدوجة» La Double Maîtréesse (سنة ١٩٠٠) و«فراغ فتى عاقل» Vacances d'un Jeune Homme Sage (سنة ١٩٠٣)، و«الخوف من الهوى» La peur de L'Amour (سنة ١٩٠٧) و L'Amphisliene (سنة ١٩١٢) و«وهم تيتوباسي» L'illusion Herïque de Tits Bassi (سنة ١٩١٦) و«الخاطئة» La Péchcresse (سنة ١٩٢٠) و«الفرار» L'Escapads، وغيرها

وكان هنري دي رينيه أيضاً صحفياً من الطراز الأول، يعالج المسائل الاجتماعية والأدبية في الصحف الكبرى بقوة وبراعة؛ وقد تبوأ كرسيه بين الخالدين في الأكاديمية الفرنسية منذ أعوام طويلة

حياة لايدي هستر العجيبة

تتفوق حوادث التاريخ أحياناً على القصة في غرابتها وروعة ظروفها؛ ومن ذلك حياة «لايدي هستر ستانهوب» الانكليزية التي خاضت في أوائل القرن التاسع عشر غمار رحلات وحوادث مدهشة في تركيا ومصر وسوريا. وقد صدر أخيراً بالانكليزية كتاب عن هذه السيدة المغامرة عنوانه Lady Hester Stanhone بقلم السيدة جوان هاسلب J.. Haslip

وقد نشأت اللايدي هستر في أسرة نبيلة في أواخر القرن الثامن عشر، وهي ابنة أخت لوليم بيث الوزير الانكليزي الشهير، ولم تكن فتاة حسناء. ولكنها كانت تتمتع بجاذبية

— «ألا ما كان أشجع اليونانيين في هذه الحرب!

— «ألا ما كان أشجعهم حقاً! أبداً ما رأت عيناي أشجع منهم! لقد ظفروا بنا وأظهرتهم آلهتهم علينا، فلنا الخزى السرمدي، ولهم المجد الأبدي؟

— «ويلاه! إذاً سحقت كل قوة فارس!

— «عن بكرة أبيها! وليس لنا الآن إلا البكاء والنحيب! فرددوا بكائي وأسعدوا يا سادات

— «أي إسعاد أيها الملك وقد قضت علينا ضربة لازب!

(يبكون . . . ثم يعولون)

— «رددوا آلامي، فما أشجا كم أشجاني!

— «ألا من يرثى لنا... يا للشجو... يا للشجو!!

— «وبللوا تلك اللحى ... إذرفوا عبراتكم يا رفاق!

(يأخذ الأشياخ في البكاء، ويشتد عويلهم، ثم يشقون جيوبهم ... ...)

— «غفرانك يا فارس! غفرانك يا دارة المجد، وهالة المظموت! هلموا يا سادة! هلموا إلى الهيكل ... إلى النار المقدسة.»

دريني خشبة

نسوية غريبـــة ؛ ولم تصادف فى بدء حياتها نجاحا فى المجتمع الانكليزى ولا قبولا فى بلاط الملك جورج الثالث ؛ بيـد أنها اتصلت صلات غرامية ببعض رجالات العصر ، مثل اللورد جرانفيل لنيفنسون والسير جون مور القائد الشهير ؛ ثم عافت المجتمع الانكليزى ونقمت عليه لمـا لقيت فيـه من اعراض وخصومة ، وغادرت انكلترا فى سنة ١٨١٠ لـكى لا تعود اليها الى الأبد . وبعد أن زارت جبل طارق ومالطه ذهبت الى اليونان وهنالك لقيت الشاعر بيرون ؛ ولـكنهما لم يتفاها ؛ فسافرت الى استانبول ، وهناك اتصلت ببلاط السلطان محمود ، وتركت لنا وصفاً شائقاً عن بلاطه وحاشيته وحفلاته . واليك نبذة ظريفة تصف خروج السلطان الى السلاملك فى يوم الجمعة :

« يركض البستانية صائحين « افسحوا لجلالة السلطان أمير المؤمنين » وهم يلوحون بأسواطهم المعقودة ؛ بينما تنتظم فى الشارع فرق من جند الانكشارية ترد الجموع ؛ ويبدأ الموكب بالسقائين يرشون الشارع ، ثم كوكبة من الفرسان ذوى اللحى تحيط بها جماعة زاهية تحمل أدوات القهوة السلطانية وسيف السلطان وشبكه فى أوعية ساطعة »

وبعد أن لبثت لايدى هستر حيناً فى استامبول سافرت الى مصر ، واتصلت فى الحال بمحمد على ، وزارته فى قصره الفخم بالأزبكية فأكرمها ، وأنس بلقائها ؛ ونوهت اللايدى هستر فيما بعد بكرمه وذكرت أنه اعتاد أن يقف للقائها ؛ وفى ذات يوم نظم محمد على عرضاً عسكرياً إكراماً لها ، وعرض فيه الـكولونل سيف (سليمان باشا) القوى البدوية ، وبعـد نهاية العرض قدم لها محمد على جوادين هدية منه

بيد أن اللايدى هستر رغم ذلك تصف مصر بأنها مريعة ، بأزقة ضيقة ، وروائح كريهة ، وشوارع متربة

وسافرت لايدى هستر بعد ذلك الى فلسطين ثم الى الشام ، وهنالك تعرفت بالامير الشهابى وتوثقت بينهما أواصر الصداقة ؛ ثم سارت الى تدمر حيث أعلنت نفسها ملكة على بعض قبائل البدو ، وحصنت قصرها فى جبل الياس ، والتف حولها كثير من الدروز والنيصرية ؛ ولما غزا ابراهيم الشام احترم قصرها ولم يهاجمها ، وبلغ حب بعض السوريين لها أن كانوا يعتبرونها شبه قديسة ، بل إن بعض الدروز اليوم يضعونها بين آلهتهم

وتوفيت تلك المرأة العجيبة فى يونيه سنة ١٨٣٩ ، ودفنت هناك فى روضة بديعة

هذا ملخص الحياة المدهشـة التى خاضت غمارها اللايدى هستر ستانهوب ، والتى تصفها لنا المس هاسلب فى كتابها وصفاً بديعاً شائقاً

وتختتم المؤلفة كتابها بوصف بطلتها بأنها كانت « خاتمة ذوى الشذوذ والأطوار الغريبة فى القرن الثامن عشر ، وأول الممهدين للحياة الجديدة فى القرن التاسع عشر »

العلم والدين

يقول الأستاذ هكسـلى فى فصل نشره فى إحدى المجلات الـكبرى إن أصحاب النظريات العقلية فى القرن التاسع عشر كانوا على يقين من أن ما يسمونه « النزاع بين العـلم والدين » سينتهى حتما بهزيمة الدين ، ولـكن تاريخ العصر الحديث أثبت أن هذه النظرية لا أساس لها . ذلك أن العلم لم يهدم الدين ، ولـكنه نقله فقط من ميـدان إلى آخر ؛ وقد كان من أخطاء أجدادنا أنهم كانوا يتصورون العلم والدين عدوين يحارب أحدهما الآخر ، وأن العلم أمضى أسلحة من الدين ، وأنه سيودى غير بعيد بالدين حتى يغدو جثة لا روح فيها ؛ وتلك صورة خاطئة . فالعلم والدين ليسا عدوين ، ولـكنهما قوتان عظيمتان من قوى الطبيعة

إن الانسان يفكر والله يدبر ؛ ولـكن المصلحين لم يظفروا بتحقيق المهمة التى رموا إلى تحقيقها ، وهى القضاء على الأوهام والخرافات التقليدية التى تدخل الدين بغير حق . وقد أحرزوا فى هذا السبيل نجاحا محدودا ؛ ولـكنهم هيأوا بجهودهم ميـدانا لأنواع أخرى من العادات والتعصب ، ربمـا كانت أسوأ من الخرافات الأولى ؛ فهنالك اليوم من ضروب العبادة القومية والتعصب القوى والجنسى ما لا يقاس فى حـدته وروعته بتلك العواطف الساذجة التى جهد المصلحون للقضاء عليها

الحفريات الأثرية فى فلسطين

تعمل الآن فى فلسطين عدة بعثات علميـة فى الحفريات الأثرية ، بعضها يعنى بالعصر اليهودى ، وبعضها بالعصر الرومانى ، والبعض الآخر بعصر المسيح . وقد نشرت مجلة المباحث الأثرية الفلسطينية التى تصـدرها مطبعة جامعة اكسفورد فى عددها

الأخير بيانات جامعة عن النتائج الأثرية التى انتهت اليها جهود هذه البعثات ؛ فنى بيت لحم ، عثر المنقبون تحت كنيسة المهد على آثار كنيسة أخرى أقدم منها ، ووجدت بعض آثار للفسيفساء القديمة تحت بلاط الكنيسة الحالية ؛ ووجدت أقسام الكنيسة القديمة واضحة ، ولكن لم يبق منها سوى بعض جدران متهدمة ؛ بيد أن ما وجد من البناء والفسيفساء يكفى لتكوين فكرة حسنة عن هندسة هذه الكنيسة القديمة وطرازها

وكشفت الحفريات فى تل حسن بالقرب من أريحا عن كنيسة بيزنطية قديمة قد أزيلت تماما ، ولكن أمكن إعادة معالمها من آثار الفسيفساء التى وجدت ؛ وقد كانت على ما يظهر من طراز البازيليكا القديمة ، ذات فناء متوسط ورواقين فى الجانبين ، تفصلهما حنايا معقودة ؛ وقد كانت الفسيفساء فى حالة حسنة ، وهى تشبه تلك التى وجدت تحت بلاط كنيسة المهد ؛ ويرى المكتشفون أنها ربما كانت الكنيسة التى خصصت للعذراء مزيم ، وقام باصلاحها الامبراطور يوستنيان حسبما يذكر المؤرخ بروكوبيوس

ووجد هنا وهنالك كثير من الآنية الخزفية ؛ وقد أثارت هذه الآنية بين العلماء المكتشفين كثيرا من الجدل ، واعتقد بعضهم أنه ظفر من بينها بآنية ترجع الى عصر حرب طروادة الشهيرة التى نظم عنها هوميروس إلياذته الخالدة

وتجرى فى نفس الوقت حفريات متعددة فى جهة الناصرة ، حيث يظن أن المسيح قضى حداثته وشبابه

الاسلام فى المجر

يطوف السيد حسين حلمى مفتى بودابست ببلاد الهند لجمع تبرعات تساعد مسلمى المجر على تشييد مسجد ومدرسة لتعليم أولاد المسلمين . وقد نشرت مجلة « الاسلام » التى تصدر بالانجليزية فى سنغافورة حديثا مع الأستاذ راسوليفتس محمد بك سكرتير الجمعية الاسلامية ببودابست عن حالة المسلمين فى المجر ، فكان مما ذكره أن عدد المسلمين يبلغ الآن زهاء ثلاثة آلاف نسمة ومن المحزن أن حالتهم الاجتماعية فى تدهور رغم أن البرلمان المجرى اعترف فى عام ١٩١٦ بالاسلام كدين من أديان الدولة ، وأكثر المسلمين فى حالة فقر مدقع ، وهم فى حاجة ماسة الى عطف العالم الاسلامى واهتمامه بهم . فأولادهم يضطرون الى التعلم فى مدارس المسيحيين والتزوج من بناتهم . ولا يوجد فى كافة بلاد المجر مسجد لاقامة الصلاة مع العلم أنه كان فى بودابست وحدها ٤٠ مسجدا أيام الدولة العثمانية

وتوجد اليوم فى بودابست جمعية اسلامية تأسست فى عام ١٩١٦ باسم « جمعية جول بابا » وقد جعلت مهمتها السعى فى بناء مسجد ببودابست ومدرسة لتعليم أولاد المسلمين وتثقيفهم فى أصول دينهم ، وقد منحتها الحكومة قطعة أرض لتشييد المسجد ، لكنها لا تجد المال الكافى للبناء ، ومن المؤسف حقاً أن المسلمين يجتمعون لصلاة الجمعة فى بهو فندق يستأجرونه خصيصاً لهذه الغاية . أما فى الأعياد والمواسم فهم يجتمعون فى ضريح ولى مسلم مدفون بأطراف بودابست واسمه « جول بابا »

معهد فنى للجنائيات

من أنباء السويد أن معهد الجنائيات الفنى الملحق بجامعة ستوكهلم قد افتتح فى بنائه الجديد المجهز بأحدث الوسائل والمخترعات الفنية ؛ ويقال إنه الآن أحدث معهد جنائى من نوعه إذا استثنينا معهد البوليس البريطانى

وقد كان هذا المعهد حتى اليوم منقسما الى عدة أقسام ؛ ومع ذلك فقد كان يجذب اليه الطلبة والفنيين من كل صوب ليدرسوا فى أقسامه المختلفة التى اشتهرت بدقة أبحاثها الفنية ؛ وكان يؤمه بالأخص رجال البوليس من السويد والنرويج والدانماركة وفنلندة وكذلك بعض رجال البوليس الانكليزى (اسكتلنديارد) لينتفعوا بتجاربه ومعلوماته

ويدرس الآن فى هذا المعهد عدد كبير من المحامين لدى المحاكم الجنائية وضباط البوليس ، وفيه عدا ذلك نحو أربعمائة طالب يدرسون فى أقسامه المختلفة طرق مكافحة الجرائم واستكشافها

كشف طبي خطير في علاج البلهارسيا

الدكتور محمد خليل عبد الخالق بك أستاذ علم الطفيليات بكلية الطب ، ومدير معهد الابحاث بوزارة الصحة ، قد عرف بأبحاثه واكتشافاته الطبية العديدة ، وامتد الاعتراف بكفاءته إلى الدوائر العلمية الأجنبية ، فسجلت اسمه في قائمة العلماء الباحثين

وقد حدث منذ شهرين أن وفد على معهد الأبحاث طفل في التاسعة من عمره مريض بالبلهارسيا ، وقام المعهد بعلاجه عن طريق الحقن بمركبات الأنتيمون ، وهي الطريقة المتبعة في مثل هذه الحالات ، ولكن الطفل عقب تناوله الحقنة الثامنة توفى بغتة ، واتضح من تقرير الطبيب الشرعي أن حقن الطفل تم على حسب الأصول الفنية

ولقد شغل هذا الحادث ذهن الدكتور خليل بك ، وما زال به اهتمامه وتفكيره حتى اهتدى إلى كشف السر فيه وفي أمثاله من الحوادث ، فدعا جمهرة من الأطباء إلى قاعة المحاضرات بكلية الطب لشرح كشفه والمناقشة فيه

وقد انعقد الاجماع على أن هذا الاكتشاف قد وضع أساساً جديداً لعلاج البلهارسيا ، وسيكون من أثره :

أولاً - انقاذ حياة ألفي مصاب بالبلهارسيا يموتون فجأة في كل عام ، وقد كانت وفاتهم مبعث حيرة كبيرة بين الأطباء المعالجين والأطباء الشرعيين

ثانياً - ضمان الشفاء لعشرات الآلاف الذين كانوا فيما مضى لا يتمتعون به كاملاً حاسماً في أوجز وقت وبأقل تكاليف

ويقدر عدد المصابين بالبلهارسيا في ريف مصر وصعيدها بعشرة ملايين يتقدم منهم للعلاج سنوياً زهاء مليون ويموت منهم فجأة ألفان تقريباً ، ولم يكن في مقدور العلم أن يتكهن بتلك الوفيات الفجائية التي أشرنا اليها ، ولا كان في مقدوره ضمان القضاء على الداء الوبيل قضاء مبرماً . أما اليوم فقد توصل الدكتور خليل بك الى اكتشاف طريقة بسيطة كيميائية تمكن الممرض أو مساعد الطبيب أن يجربها ؛ وهي طريقة يعرف بها على وجه التحقيق المسائل الآتية :

١ — هل يفرز المريض أكثر الدواء الذي يعطى له ، ولا يمكث في جسمه إلا قليل منه لا يكفي لقتل الديدان المسببة للبلهارسيا ، وعلى ذلك يصعب شفاؤه بالجرعة المعتادة ؟

٢ — هل المريض لا يفرز الدواء مطلقاً ، أو يفرزه بمقادير ضئيلة ، وعلى ذلك يتراكم في جسمه ويسممه ، فيموت فجأة إذا بذل أول مجهود عضلي ؟

٣ — هل المريض يفرز الدواء بمقادير عادية ، وعلى ذلك يشفى ؟ والأكثرية من المرضى من هذا القبيل

وقد أثبت ذلك الاكتشاف أن تقدير الجرعات في علاج البلهارسيا بمركبات الأنتيمون ومنها الفؤادين كان أساسه خاطئاً . إذ أن الجرعة كانت تقدر حسب السن أو وزن الجسم من غير مراعاة لتفاوت الأشخاص في سرعة إفراز الدواء ومقدار هذا الافراز . وليس مجهولاً أن القيمة الشفائية الفعلية لمثل هذه العقاقير لا تتوقف على مقدار مايدخل الجسم منها فقط ، بل تتوقف أيضاً على ما يمكث منها فيه ؛ ومن الطبيعي أنه إذا تفاوت الأشخاص في إفراز هذه العقاقير اختلف تأثيرها تبعاً لذلك ، وهذا ما أثبته الدكتور خليل بك بتجارب كيميائية أجريت أمام الجمعية الطبية المصرية

ويتخلص الكشف الذي اهتدى اليه الدكتور لتعيين نسبة الافراز في كل جسم في أخذ تفسرة من بول المريض قبل الحقن لتعرف هل يحتوي البول على مادة مماثلة المادة التي سيحقن بها أو لا ؛ ثم يحقن المريض وتؤخذ تفسرة أخرى من بوله بعد نصف ساعة تقدر بخمسة سنتيمترات ، ويضاف اليها مثلها من محلول كيميائي مركب من كلور الحديد يضاف اليه نشادر قوي مطهر . فاذا كان في البول إفراز من المادة المحقون بها احمر لونه ، وإذا لم يكن هناك إفراز ظل اللون على حاله الطبيعية ، ثم تؤخذ تفسرة أخرى بعد ثلاث ساعات وتكرر معها التجربة ذاتها

من هنا ومن هناك

من العلم الى الأدب

كثير من العلماء هجروا العلم الى الأدب ولم يستطيعوا الجمع بينهما كما فعل ابن سينا مثلاً حين جمع الأدب الى الطب والحكمة أو كما فعل الكندي والبيروني

والعصور الحديثة ملأى بأمثلة ذلك

فذلك إبسن الكاتب النرويجي العظيم (١٨٢٨ - ١٩٠٦) وواضع الدعامة الأولى للأدب المسرحي الحديث قد نشأ ليكون أول أمره كيميائياً ، ولكنه وجد هواه في كتابة الدرامة ، فصبأ من الكيمياء الى الأدب . . . وفرغ له وبرع فيه

وجوته أيضاً كاد يكون عالماً يبحث في الألوان ويضع الأصول للرسم والنحت ويؤلف في الأزهار وفلاحة البساتين ، فلما تفتح قلبه للحب قذفت به حبيباته الثماني عشرة الى الأدب فنبغ فيه نبوغاً يكفي لوصفه أن يقول فيه كارليل « إنه أعظم أدباء العالم » ولم يستثن حتى شاكسبير — وهذه مبالغة لا شك من صاحب كتاب الأبطال

والكاتب الانجليزي الكبير هـ . ج . ولز هو الآخر ، فلقد تعلم الكيمياء في صغره ، ثم هجر المدرسة ليكون تاجراً ، ولكنه أحس ميلاً ملحاً الى التعليم ، فصارع ظروف الدهر وتصاريفه وانتسب الى جامعة لندن وكد وكدح حتى نال درجة في العلوم وعين بالفعل أستاذا لعلم الحياة (بيولوجيا) ولبث في منصبه لمدة ثلاث سنوات ، ثم شعر بشغف شديد الى الصحافة ، فاعتزل منصبه واحترفها ، ثم أيقن أن الله خلقه ليكون أديباً فهجر الصحافة واحترف الأدب ، فها هو اليوم أكبر كاتب اجتماعي في العالم وكتبه تطبع بالملايين ! !

وكذلك الكاتب الأرلندي المعروف جورج مور ، فانه كرس حياته في فجر شبابه ليكون فناناً ، وفتنه الرسم والتصوير ، ونال فيهما أعلى الدرجات من جامعات لندن وباريس ، ولكنه بعد ذلك كله شعر بسحر الأدب ينفث في قلبه ، وذلك بتأثير ادمانه قراءة الأديب الفرنسي العظيم أميل زولا فشرع يكتب قصصه الخالدة التي ينهج فيها نهج أستاذه

جوركي وروسيا السوفيتية

اشتهر مكسيم جوركي في جميع أنحاء العالم بأنه أديب الصعاليك ، وذلك لأنه يجيد الكتابة عن هذه الفئة اجادة لا يجاريه فيها أحد من الأدباء . وفي الحق أن جوركي يكتب عن الخدم وأوشاب الناس وأبناء الشوارع كأنه واحد منهم ، حيّ حياتهم وتخلق بأخلاقهم . وكان الأدب معواناً له على التغلغل في خبايا نفوسهم ، فهو يصف لك خلجات العرابيد وقطاع الطرق والقتلة ومن إليهم ، فتحس من وصفه أنك تجالسهم وتنغمس فيهم ! وكل ذلك بأسلوب أخاذ وعبارة رشيقة ، تذكر القارئ بمواطنه البائس دستوئفسكي

وقد كانت الحرب الكبرى وبالاً على جوركي ، فلقد ذاق طوالها من ضروب الفاقة والعوز ما كان تصديقاً من الزمان الصارم على ما جاء في كتبه من وصف البؤس وذكر البائسين ! ولما وضعت الحرب أوزارها ، وقام في روسيا هذا النظام البلشفي المنيف اشتد الفتك بالناس هناك ، وذاق الأهلون — ولا سيما الأدباء — ألواناً من الفاقة والعوز تنفطر من هولها القلوب ! وذهب أديب انجلترا الكبير هـ . ج . ولز ليجول جولة في هذه البلاد التاعسة ، وحل ضيفاً على صديقه جوركي ! !

وكانت حكومة الاتحاد السوفيتي قد أعدت له قصراً من أفخم قصورها لينزل فيه ... ولكنه آثر القرب من جوركي إعزازاً للصداقة وإيثاراً للأخاء ... فلما ذهب إلى منزله راعه هذا البؤس الذي خيم في منزل أكبر أدباء العالم ، وهاله العوز الشديد الذي كان يعانيه صديقه ... فما كان منه إلا أن تولى هو النفقة على المنزل طيلة وجوده فيه !

وكان جوركى يلبس أسمالاً لفتت أنظار ولز ، فباسطه وسأله إن كان لديه ملابس ؟ فتبسم جوركى وذكر أنه لا يملك غير البذلة الممزقة التي يرى ! وكان معهما الكاتب الروسى الكبير (أمفيتياتروف) فانتهز هذه الفرصة السانحة وسأل ولز أن ينزل له عن (طقم) من ملابسه حين يعتزم العودة إلى انجلترا ! وقد فعل ولز ، فانه أهدى أكثر ملابسه الخارجية إلى جوركى ، وأكثر ملابسه الداخلية إلى (أمفيتياتروف) ! ولم يفت ولز أن يذكر هذه الوقائع فى كتابه عن هذه الرحلة :

(Russian in the Shadows)

ولقد شب جوركى مع البؤس فى مهد واحد ، فلقد ولد سنة ١٨٦٨ ، ثم مات أبوه وهو يحبو على أربع ، وكفلته أمه الفلاحة القروية ، وعمل خادماً على ظهر سفينة من تلك السفن التى تمخر عباب الفلجا ، ثم صار خبازا فحمالاً فبائع تفاح ! وبسم له الحظ فالتحق بوظيفة كتابية فى مكتب محام ... وبرم بالعمل ثمة فهرب إلى جنوب روسيا يذرع الرحب ويطوى الفيافى ... ثم ظهرت مواهبه فجأة سنة ١٨٩٢ حين شرع يكتب أول قصصه ويبعث بها إلى المجلات

والعلاقة أكيدة موثقة بين الأدب الروسى والنظام البلشفى ، وهو يكاد يكون فى صميمه أدب الفقراء ... ومن هنا اعتزاز حكومة السوفييت بجوركى وغمرها إياه بالهبات والأعطيات حتى لقد كادت حياة الترف تتخمه عن أعز ما هيأته له الحياة ، ألا وهو أدب الصعاليك !

والمدهش أن يرضى جوركى عن الطاغية ستالين ، ويؤلف القصص تحبيذا لسياسته التى هى سياسة تخريب العالم ... وهذا ما أفقده عطف أعضاء لجنة نوبل ، فلم يحظ بجائزتها إلى الآن ، مع أنه أحق بها ألف مرة من كثيرين من نكرات الأدباء والأديبات الذين نالوها

وسنفرد قصص جوركى بكلمة خاصة

أدب التراجم

من المؤلم جداً أن يكون التاريخ العربى مليئاً بهذا العدد الوافر من الفلاسفة والعلماء والأدباء ولا تروج كتب التراجم عنهم بيننا ، أولا نجد من أدبائنا من يترجم لواحد منهم مع أن أحدهم جدير بأكثر من كتاب يؤلف عنه

إقرأ هذه الأسماء : الكندى . ابن سينا . ابن رشد . البيرونى . ابن منظور . القلقشندى . الأصمعى . ابن أبى أصيبعة . الجاحظ . النورى . . . . . الخ . أفنحن قوم يقدرون تراثهم ؟ نحن لا ننكر أن غير واحد من أدبائنا طرق هذا الميدان البكر ، ولكننا إذا استثنينا أبا العلاء والغزالى وابن خلدون ورسالات مقتضبة عن الكندى والبهاء زهير والليث بن سعد وجدنا أننا فقراء جداً إلى كتب التراجم

اللغة العربية منذ مائة عام

لما أنشأ المغفور له محمد على الكبير دار صناعة الاسكندرية لصنع السفن الحربية لم يمض غير قليل حتى صار لمصر أسطول عظيم مرهوب الجانب . وكانت كلما أنزلت احدى القطع من دار الصناعة الى البحر أقيمت الحفلات وتبودلت الخطب على نحو ما يجرى هذه الأيام فى المآتم العظيمة مما نشاهد صوراً منه على الشاشة الفضية فى دور السينما . والآن اسمع هذه الكلمات فى وصف البارجة (الاسكندرية) عند نزولها الى البحر : (الوقائع المصرية عدد ٣٤٠ يناير سنة ١٨٣٢)

« ان الغليون ذا الهيئة السنية ، المحلى باسم الاسكندرية ، تعريف انشاء آلاته البهية ، وعمل أدواته الحربية ، ووصف أبعاده الثلاثية ، قد تقدم ذكره الشائع ، واندرج فى سلك السطور والوقائع . والمراد ذكره الآن قطع حبال تعلقاته من القطر البرى ، ليطير بأجنحة العنقاء فى القطر البحرى ، وقد وافق هذا غرة شعبان المعظم فى الساعة الرابعة من النهار ، حيث تجلت مشاهد الأنوار . وكان ذلك بحضرة جميع الأمراء والعظماء ، وزمرة الصلحاء والعلماء ، وقناصل الدول المستأمنين ، وقاطبة الأهلين ، مع جملة أولادهم الكبار ، وعيالهم الصغار ، وكانوا لدى ساحة الترسانة الواسعة الأرجاء ، منتشرين كنجوم السماء . وأما سعادة أفندينا ولى النعم فانه ركب الفلك بحرا ، وهلم جرا ، واستصحب بمعيته أحد رجال الدولة العلية ... ... »

ومسكينة اللغة العربية فى (هلم جرا) التى حشرت هنا حشرا !

والآن ، ما رأى الأستاذ الزيات فى الطفرة التى طفرتها اللغة العربية فى العشرين سنة الأخيرة ؟ ألسنا قد شأونا عصر ابن المقفع وأحمد بن يوسف والهمذانى وعبد الحميد الكاتب ؟

صموئيل بطلر والأسرة الإنجليزية

كانت الأسرة الانجليزية من قبل العصر الفكتوري إلى أواخر القرن التاسع عشر تشتهر بجمودها وركودها وتقديسها لسلطة الأب تقديساً هو إلى الرجعية أقرب منه إلى الاحترام. فلم تكن لأحد في المنزل إرادة بجانب إرادته ، وكانت الأم نفسها خادمة لا أكثر ... تكدح طول يومها في المطبخ أو الغسل ، أو تعد الحطب للمدفأ ، وهي في كل ذلك لا تألو جهداً في تلقين الأطفال محبة الوالد ، وكبت غرائزهم الثورية كلما بدرت منهم بوادر التململ أو التبرم بهذا التقديس الخانق لسلطة الأب ... وكان أكبر العبء واقعاً على الفتاة .. فلم يكن يسمح لها بتعرف الحياة ولا تشم نسيم الحرية النعشة ، وإذا تقدم أحد لخطبتها فما عليها إلا أن تنحنى خاضعة لمشيئته

ولقد كان الأدب في العصر الفكتوري ، برغم ما فيه من صور حلوة وطرف براقة يساعد على هذا الركود المنزلي ، ويضاعف من سلطة الأب ؛ ولكن حدث مالم يكن في الحسبان ، فقد ظهر الكاتب النرويجي إبسن فجأة في الميدان ؛ وإبسن هو أكبر نصير للمرأة في العصر الحديث ؛ فقد ألف أكثر من عشرين درامة لنصرتها والاكبار من وظائفها المدنية التي تعدو الطبخ والغسل والخياطة وتفريخ الأطفال . وقد تأثر الأدباء الانجليز بإبسن النرويجي وأخذوا ينتهجون منهاجه . وكان الأديبان الكبيران جورج جسنج وصموئيل بطلر في مقدمة المتأثرين به . فقد ألف الأول كتابه New Grub Street سنة ١٨٩١ وألف الثاني The poy of All Flesh سنة ١٩٠٣ على ضوء إبسن

وصموئيل بطلر هو أستاذ الكاتب الكبير جورج برنردشو . وما يزال شو يفخر بهذه التلمذة الى اليوم ، بل ما يزال يتغنى بمبادئ أستاذه العظيم ويرددها في جميع قصصه . وأهم هذه المبادئ الثورة الصارمة على جمود الأسرة ومنح أعضائها – غير الأب – كل حرية العمل في الحياة ؛ فللفتاة أن تتزوج بمن تحب وليس لأبيها أن يحول بينها وبين مثلها العليا ، فاذا شاء أن يقسرها على شيء فلها أن تثور عليه وتضرب بارادته عرض الأفق ؛ وللولد كذلك أن يستقل بنفسه عن أبيه ، ويعمل وحده ، ويقوى شخصيته . وعلى العموم كان يرى وجوب التحلل من مبادئ الطهريين وإطلاق الحرية للفرد . وغلا بطلر في ثورته على الآباء فسب أباه وهجاه فأقذع ، وكأنه بذلك أفسح الطريق للشبان فقلبوا الأسرة في انجلترا رأساً على عقب !

ومع أن نظرية التطور التي بهرت العالم أجمع كانت في عنفوانها في القرن التاسع عشر فقد وقف بطلر في صف المعارضين لها ؛ ولكنه لم يقف في صف المتدينين دفاعاً عن الدين ، بل وقف يدفع ايمان داروين بهذه المادية البحتة التي يرد اليها كل ما يحدث في هذا العالم من خلق ورقي . وكان يغيظ بطلر ما كان يقول به داروين من تنازع البقاء وبقاء القوى المحتال ، فكان بطلر نصيراً للروحيين من العلماء وفي مقدمتهم العالم الفرنسي الكبير هنري برغسون ألد أعداء داروين

صيفية الفلاح

أوشك العام المدرسي أن ينتهي ، وسيتبطل التلاميذ أربعة أشهر حتى يعودوا الى مدارسهم ، فلو أنصفوا لصرفوها في تعليم الفلاحين مبادئ القراءة والكتابة . إن في مصر شعباً من الأميين لا يقل عن ٨٥٪ من مجموع سكانها ، وليس في الدنيا عار أشد من الأمية في هذا العصر الذي نعيش فيه . فلو أن كل تلميذ مصري أخذ على عاتقه أن يعلم فلاحاً مصرياً أو فلاحين في الأجازة الصيفية القادمة لانخفضت نسبة الأمية في وطننا العزيز الى ٨٠ أو ٧٥٪ ونكون قد اقتدينا بالهند التي تحاول أن تصلح من شأن المنبوذين وتنتفع بالبقرة ! ! فهل يفعل التلاميذ ؟

د . غ

الكتب

شهرزاد

فى اللغة الفرنسية

للأستاذ عبد الرحمن صدقى

نوهت (الرسالة) فى عددها الماضى بصدور ترجمة فرنسية لرواية شهر زاد للأستاذ توفيق الحكيم. وهذه شهادة ناصعة على مبلغ ازدهار حركة التجديد فى مصر وعلى المستقبل المنتظر للأدب المصرى بين آداب الأمم

ولما كانت الترجمة مصدرة بكلمة ليست على طراز القدمات المألوفة بل هى من قلم عضو المجمع الفرنسى المسيو جورج ليكونت تناول فيها الرواية بالتعقيب فأحسن جلاء فكرتها. فانه ليسرنا أن ننشر تعريب هذه المقدمة فيما يلى :

« شهر زاد ! لا يتطابن القارئ تحت هذا الاسم الحالم تلك المناظر المألوفة المعهودة فى ألف ليلة وليلة، ولا أبهة الشرق كما اصطلح عليه العرف

طريق قفر. منزل منفرد فى جنح الظلام. خيال مخدع الملكة متراثيا فى حوض من المرمر: رمال الصحراء. وفى وسط هذه الرسوم الرصينة عن تعمد وقصد تتجلى المأساة الخالدة : مأساة النفس الانسانية فى كل زمان ومكان

هنا شهر زاد، مجردة من بريق عقودها ومن أبرادها المذهبة تتبدى لنا فى جوهرها وكنه ذاتها. وما شأن اسمها وسماتها؟ فلتكن لها طلعة امرأة أو طلعة الحظ أو العلم أو المجد، فما هى بعد إلا الذروة اللامعة التى يتطلع إليها طماح الانسان ويستنفد جهده نحوها؛ هى سراب بقيعة يهيج ظمأه ولا ينقع له غلة؛ هى الملتقى المحتوم يتوافى عنده أبداً تلهف الرجاء وخيبة الأمل على لقاء موجع ووفاء فاجع

« لقد استمتعت بكل شىء، وزهدت فى كل شىء » بهذا يهتف شهريار. لم يفثأ غليله ولم تطب نفسه بما سفكه من دم العذارى والعبيد، وما ذاقه من سحر ألف ليلة وليلة من ليالى الحب والفتنة قضاها بين ذراعى شهرزاد. لقد استنزف كل شىء من حيث المتعة. والذى يضنى نفسه الآن إنما هو ظمأ جديد : « إنى براء من الآدمية. لا أريد أن أشعر. أريد أن أعرف »

ومنذ هذه الساعة تطم المأساة ويعب عبابها، وتنحصر وتستحكم حلقاتها، إلى أن يصبح شهريار وشهرزاد وجهاً لوجه لا يمثلان غير الصراع المحتدم بين لهفة الانسان وسر الأشياء المطوى دونه

يسألها شهريار : « من أنت ؟ هل تحسبيننى أطيق طويلاً هذا الحجاب المسدل بينى وبينك ؟ »

فتغمغم شهرزاد كالمخاطبة نفسها بهذه الكلمات الخافية المشرقة : « وهل تحسبك — أيها الطفل — لو زال هذا الحجاب تطيق عشرتى لحظة ؟ »

وليس أصدق من قولها هذا. فان موضع العظمة فى قلق الانسان أنه قلق عضال لا دواء له؛ فضلاً عن أنه قد يكون ضرورياً للانسان باعتباره مدعاة لاستمراره فى البحث والطلب، وعلة لهذه الغريزة التى تحفز كل جيل — بالرغم من هزائمه — على أن يعهد للجيل اللاحق شعاره وهو الأمل

ولقد كان لا بد من شاعر ليقدم فى هذا الحيز المحدود على إجمال لأحدى المأساتين العظيمتين للانسانية؛ ولكنه كان لا بد من شاعر شرقى رقيق الحاشية دقيق الحس كالأستاذ توفيق الحكيم ليعالج صعوبة العمل بهذا الافتنان فى التعابير المتراصفة النظم البارعة الوشى

ولا يسعنا أيضاً إلا الثناء الجميل على الأستاذين خضرى ومورليك بران؛ وكيف لا، وهما قد ترجما الى اللغة الفرنسية المطبوعة على الوضوح والتعقل عن لغة أخرى جعلت قبل كل شىء للتعبير عن العطور والأشعار والأسرار

عبد الرحمن صدقى

فى مدى استعمال حقوق الزوجية

وما تتقيد به

فى الشريعة الاسلامية والقانون المصرى الحديث

تأليف الدكتور السعيد مصطفى السعيد

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

أهدى الى صديقى الدكتور السعيد مصطفى السعيد وكيل النائب العمومى بنيابة الاستئناف كتابه القيم (فى مدى استعمال حقوق الزوجية وما تتقيد به فى الشريعة الاسلامية والقانون المصرى الحديث) وهو رسالته التى نال بها عن جدارة إجازة الدكتوراه فى القانون . وقد اقتضت هذه الرسالة منه أن يراجع فى موضوعها كتب الفقه فى مذاهب أهل السنة ، وأهل الظاهر والشيعة ، وكتب الأصول والتفسير وغيرها مما يتصل بموضوع رسالته ، الى مراجع أخرى باللغتين الفرنسية والانجليزية

وهكذا دفع الدكتور السعيد بفكره المثقف بثقافته العصرية فى متوننا الأزهرية وشروحها وحواشيها فخرج منها بتلك الدرة الغالية التى جمعت بين نبل القديم وجمال الحديث ، فى حسن اجتهاد ، ودقة نظر ، واستيعاب بحث ، وتقليب للمسألة على كل وجوهها حتى يقتلها بحثاً من جميع نواحيها الشرعية والقانونية ، وهذا الى استيفاء ما يجب فى حسن التأليف من انسجام العبارة ومتانة الأسلوب ، وسلامة اللفظ ، وحسن الترتيب والتقسيم

وإنها لقوة ذكاء عجيبة يكفى فى تقديرها شهادة أستاذه الجليل الشيخ احمد ابراهيم وكيل كلية الحقوق فيما قدم به لرسالته ، إذ يقول فى ذلك : « وما أشد ما كان موفقاً لفهم نصوص الفقهاء فى كتب جميع المذاهب المختلفة المطولة مع غرابة تعبيراتها عن أمثاله لعدم إلفه إياها »

ولم يتقيد المؤلف فى رسالته بمذهب معين من المذاهب المتعددة فى الشريعة الاسلامية ، بل بحث موضوعه فى المذاهب المختلفة بقدر ما وسعه جهده ، على اعتبار أن هذه المذاهب وإن اختلف بعضها عن بعض فى شىء من التفاصيل فأساسها واحد ، وغايتها متفقة . وقد كان جهده فى ذلك غاية الجهد ، وما أظن أحداً يتصدى لموضوعه فيأتى بأوفى مما أتى به فيه ، وإنى لا أكاد أملك نفسى من السرور حين أجده تنتهى به دراسته لموضوعه إلى هــذه الغاية التى لو عمل فى سبيلها نظراؤه فى كلية الحقوق لكان لنا قضاء مستقل وقانون خاص بنا نباهى به غيرنا من الشعوب . ولندع المؤلف يحدثنا عن هذه الغاية التى وصل اليها فى دراسته ، قال : (وقد تبين لنا أن تقييد الحقوق الفردية فى الشريعة الاسلامية كان أوسع مجالا وأبلغ أثراً مما يحاوله الفقه الحديث بنظرية سوء استعمال الحق ، وإن هــذه النظرية الناشئة لم تبلغ ما بلغته مثيلتها فى الفقه الاسلامى منذ مئات السنين ؛ وهذا طبيعى ، فان النظرية التى تقرب أحكام القانون لقواعد الأخلاق — وكثيراً ما عمل فقهاء القانون الحديث على الفصل بينهما — يتسع لها المجال فى تشريع أساسه الدين ، وهو يأمر بالعدل والاحسان وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى)

ثم قال : (ويجدر بنا أن نختم بحثنا بالاشارة الى أننا أغنياء بفقهنا عن أن نستعين بغيره من مستحدثات القوانين . وإن الشريعة الاسلامية التى وسعت العالم الاسلامى فى أزهى عصوره وقضت حاجة بلادنا من التشريع مئات السنين ، لا تقصر عن أن تكون أصلح مصدر للمشرع يأخذ منه أحكام قانون مدنى موحد)

وليعذرنى القراء بعد هذا إذا أنا سلكت فى كتابتى عن هذه الرسالة سبيل التقريظ ، فان مؤلفها على ما بلغ فيها من البسط لم يدع فيها مجالاً للانتقاد ولا محلاً للمؤاخذة ، اللهم إلا ما ذكره فى صفحة — ١٤٦ — من انتقاد تفسير الأستاذ الامام لقوله تعالى (فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة ؛ ذلك أدنى ألا تعولوا) أى أقرب من عدم الجور والظلم ، وقد جعل البعد من الجور سبباً فى هذا التشريع ، فانتقده المؤلف بأن تأويل آية التعدد يؤدى إلى اعتبار التعدد مباحا فى الأصل ، ويكون البعد من الجور قيداً لهذا الحق الأصيل ، والقيد لا يكون سبباً فى تشريع الحق الذى يتقيد به ، فانه يمكن أن يحمل كلام الأستاذ الامام على تشريع الاقتصار على واحدة عند خوف الجور ، لا على تشريع التعدد الذى اعتبر البعد من الجور قيداً له

هذا وقد استفدت من قراءة هذه الرسالة أمراً أحب أن أنبه إخواننا الأزهريين اليه ليأخذوا له عدته ، فقد رأيت بعد قراءة هذه الرسالة أنا سائرون الى فتح باب الاجتهاد بخطى سريعة ، وأن الأستاذ الجليل الشيخ أحمد ابراهيم إذا ظفر بعدد من التلاميذ النبهاء مثل ما ظفر بتلميذه النابه المجتهد صاحب هذه الرسالة ، فانه سيسبقنا بتلاميذه الى فتح هذا الباب المغلق . ولا يدرى إلا الله ماذا يكون إذا تم فتح هذا الباب على يد غيرنا ، فلنفكر ولنتدبر ؟

عبد المتعال الصعيدى